



كاعب شورب

بلا عنوان

يدان ترترجفان

شورب

يدان ترترجفان

مكتبة ليلاس

يدان ترترجفان

الحب لا

يهتم بالوقت او المكان يحضر

عندما لا تتوقعه . والحب يمكن ان يسبب الأ

يقدر ما يسبب سعادة . هناك من يفقد صوته . وهناك

من يخلق في الألام ويطرح على اجنحة الحب . وينسج عن

المايات . وهناك من يتشتت ذهنه فهل نستطيع ان نعلق كلمة

(طير) على الحب! فليس اختارنا الماضي وحقت في عالم التحف

التديعة . وسيت الحاضر وجماله وسنعه . ولكن فجأة بدأ ذهننا يتشتت

ويدها ترترجفان . ولم تدرك مشاعرها الا حين مرق قلبها بخفتاته

الضلوع لكن . هناك مويلا الجنبيلة المدللة . والتي تستطيع ان تجعل برانت

القاس يضحك من اعماق قلبه . فإين فليس من عالم برانت . وهو رب

العقل الذي ربطها بعقد ضح قابل للفسخ . كيف نستطيع دفن

مشاعرها بين التحف واللوحات والقصر المارة الكبير أ هل

تخرج برانت بخداق مويلا له ويأنها تحب شاباً آخر

وتخرج معه . أم تهرب ويحصل لهم ما

يحصل!

مكتبة ليلاس

LIILAS.COM

بلا عنوان

## ١ - خطوة في المجهول

والسيد مالوري مشغول هذه اللحظة، وسيتصل بنا حالما يكون جاهزاً، بانتظار ذلك ارجو يا آنسي ان تفضلي بالجلوس». هذا ما قاله موظف الاستقبال. شكرته فانيسا وسارت بيطة في القاعة المفروشة بالسجاد نحو المقعد حيث اشار الموظف. شعرت بتوتر وتمنت ان لا تنتظر طويلاً. التأخير يضرها ويعطيها وقتاً للتفكير في عدم كفاءتها للوظيفة التي تمتها كثيراً، ويؤكد من احتمال كونها تسعى الى المستحيل. فتحت حقيبة يدها وسحبت منها قصاصة جريدة. قرأت، وربما للمرة العشرين، الخبر المنشور. لم تكن تحتاج الى التذكر، بل الى اشغال نفسها في أي شيء أثناء الانتظار.

العنوان الاصيل لهذه الرواية بالانكليزية  
THE LAST OF THE MALLORY'S

© KAY THORPE 1968  
© 1983 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: كاي ثورب  
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة لهارلكوين  
(قبرص) المحدودة

المراسلات:  
Harlequin (Cyprus) Ltd.  
29 Michalakopoulou St.  
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by  
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk



## بلا عنوان

مطلوب للعمل سكرتير خاص لمدة ستة اشهر على الاقل.  
الوظيفة مع الإقامة في رالينغز هول، في بلدة دريشايد. على مقدم  
الطلب، اضافة الى مؤهلات السكرتاريا، ان يكون ذا اطلاع واسع  
في شؤون التحف الاثرية القديمة. الراتب يتفق عليه. والسيد ب.  
مالوري سيجري المقابلات يوم الاثنين ١٢ ايلول (سبتمبر) من  
الثانية حتى الرابعة بعد الظهر في فندق بارك.

وفكرت فانيسا ان الخبر دقيق جداً، وان الكاتب ليس شخصاً  
يهدر الكلمات التي لا معنى لها. تهدت واعادت القصاصة الى  
حقيبتها. ثمّت ان تكون الوحيدة. بالطبع آخرون سيجدون العرض  
مغرياً للعمل والعيش مع اشياء تاريخية تعود الى اكثر من اربعمئة  
سنة، ومع احد اهم جامعي التحف في اوروبا. فرصة لا تسنح الا  
مرة واحدة في العمر لشخص مثلها يهوى التحف.

فكرت ان عمرها ربما يكون عاملاً في غير مصلحتها. فهي لم  
تتجاوز الثانية والعشرين، وهذه السنوات ليست كافية لتحمل  
مسؤولية من النوع الذي تطمح اليه. اخرجت مرآة صغيرة من  
حقيبتها وحدقت فيها بعين ناقدة. مسحت طرف انفها من غبار  
عالق، وغمّنت لو انها ارتدت فستاناً داكن اللون غير الفستان الزهري  
الذي لبسته. انه افضل ما لديها، الا ان انعكاسه مع بريق شعرها  
البرونزي، قد يعطي انطباعاً بانها مستهترّة وهو عكس ما ترغب في  
اظهاره تماماً.

نادى موظف الاستقبال مقرباً منها:

«آنسة بيدج السيد مالوري متفرغ الآن ويستطيع ان يراك. رقم  
غرفته خمسة في الطابق الأول».

في المصعد شعرت فانيسا انها ذاهبة في مهمة صعبة. وفكرت، لو  
استمرت تشعر بالفشل سلفاً قبل ان تتم المقابلة فانها ستفشل

حياً... جدّها كان دائماً يقول: فكّري في ترفع ولا تستخفي ابداً  
تؤهلاّك، ووجدت نفسها تجهد من اجل تطبيق هذه النصيحة.  
كانت الغرفة رقم خمسة في منتصف الممر الطويل المقروش  
بالبوكيت. قرعت فانيسا الباب وسمعت صوت رجل خشن يدعوها  
للدخول. سحبت نفساً طويلاً ودخلت لتجد نفسها في غرفة جلوس  
ومكتب، الغرفة حلوة الاثاث، تسبح في دفاء شمس الظهيرة  
التسرب من النافذة الواسعة. والرجل الواقف الى جانب النافذة لم  
يتوجه نحوها بل تابع النظر الى الطريق. وجدته طويلاً، عريض  
الشكين، اسود الشعر، ويلبس بزة رمادية انيقة. قال من دون ان  
يلتفت الى الورااء:

«انظر الى الاناء الاثري الموجود على المكتب، من فضلك،  
واخبرني عنه».

تحركت فانيسا الى الامام ووضعت حقيبة يدها جانباً، وتناولت  
الاناء عن المكتب. وجدته قطعة بسيطة من البورسلين الرقيق تزينها  
ازهار زرقاء على الاطراف. قطعة جميلة في حالة ممتازة. الاهتمام  
ازال توترها. ودفاء الاناء النسيبي والملمس المخملي جعلها تعتقد  
ان البورسلين من الطين الناعم. قلبت الاناء لتدقق في علامة المصنع  
المميزة، وجدتها تكاد تمحى ولكن قراءتها ممكنة: رسم للشمس  
واحرف «أس. تي. سي.» وفي الأسفل حرف «تي». كل ذلك لم يكن  
كافياً لاثبات القيمة الاثرية للاناء. فاقطع المزورة دائماً تحمل  
احتمالاً. دققت في الاناء من دون ان تلغي احتمال وجود خدعة. اذا  
كان الاناء مزوراً فإن صانعه ممتاز اذ جعله يطابق المواصفات القديمة.  
والوقت المتوفر للاجابة قصير كما ان كشف التزوير يحتاج الى وقت  
اطول. ومع ذلك لم تظن ان الاناء مزور، فحدسها ابلاغها ان القطعة  
اصيلة.



والاناء من فرنسا».

قالت وتوقفت عن المتابعة عندما استدار الرجل نحوها بسرعة ونظر إليها بخلة. وفي لحظة الصمت هذه وجدت في عينيه الزرقاوين ووجهه الأسمر ان الرجل من النوع الذي لا يقبل المساومة. لم تفهم سبب انزعاجه المفاجيء.

«اعتذر».

قال اخيراً واطاف:

«يبدو ان ثمة سوء تفاهم. كنت اتوقع شخصاً اسمه السيد بيدج يطلب المقابلة».

«آه لكن موظف الاستقبال كان واضحاً جداً عندما أتياك بوجودي».

«ربما، ولكن اعتذر لأن سوء التفاهم جعلك تستظنين من دون فائدة. الوظيفة هي لسكرتير رجل وليست لفتاة».

«آه، ولكن الاعلان في الجريدة لا يقول ذلك صراحة».

«ربما، غير أنني اعتبرت ان رجلاً فقط يمكن ان يتقدم الى وظيفة تتضمن اقامة داخل بيت».

«نعم، ولكن لا اظن ان فكرة الاقامة تردع امرأة من ان تطلب الوظيفة».

«آسف، فالموضوع غير قابل للنقاش... آسف ثانية لأنني اضعت وقتك».

شعرت فانيسا بغضب الحية ووجدت نفسها تقول له:

«هل انت عدو للمرأة بشكل عام ام في هذا المجال فقط؟ اذا كان الأمر الاخير فأظن ان اللياقة تقضي بأن تحكم علي من خلال مؤهلاتي وليس من خلال كوني امرأة».

رفع حاجبيه متعجباً من جرأتها، ملاحظاً جبهتها العريضة

وعينها الخضراوين وذقنها المشدود، وقال بقوة:  
«ألا تريد معي ان الاستمرار في الحوار يهدر وقتك ووقتي؟»  
«لم ار احداً غيري ينتظر».  
«لست فتاة لجوجة. اذا كان يهملك ان ترى مؤهلاتك، لا بأس في ذلك. ارجو ان تجلسي وتخبريني عن الاناء. هل انه فرنسي الصنع؟»  
«نعم».

قالت باصرار وتابعت بصوت واثق:  
«الاناء من صنع سانت كلاود، تاريخه يعود الى اواسط القرن الثامن عشر وبالطبع لا يتجاوز كثيراً العام ١٧٧٠».  
«لماذا؟»

سأل بلا مبالاة.  
«لان حرف «تي» اضيف عندما اصبح هنري ثوروتيساً للمصنع في العام ١٧٢٢. والمصنع احترق في العام ١٧٧٣ ولم يرمم بعدها ابداً».

وجدته صامتاً وبعينيه الزرقاوين ينظر اليها في خط مستقيم.  
شعرت بارتباك والاحمرار يملأ وجنتيها.

قال من دون ان يزيل نظره عن وجهها:  
«صحيح واعجبني الطريقة التي عرضت بها افكارك. ان الدقة والايجاز يندر ان يلتقيا خصوصاً عند امرأة».

شعرت فانيما انه يغيظها. وقررت تجاهل ما قاله. فالحواجز ربما تضاءلت بينها اذا تمكنت من التأثير عليه. ولكن قناعها بمؤهلاتها لم تؤكد لها موافقة الشخص الآخر. فالرجل امامها لا يبدو من النوع الذي يغير رأيه بسرعة ربما في موافقته على اجراء المقابلة قصد المسابرة او التسلية من دون ادنى فكرة جدية نحو توظيفها.



تحرك من جانب النافذة حيث كان يتكئ، وجلس على الكرسي خلف المكتب وسحب من داخل حقيبة عمل رزمة صور ووضعها امامها قائلاً:

«اخبريني عن مواضيع هذه الصور. الطراز، الفترة التاريخية، واعطني وصفاً مختصراً لكل موضوع».

خلال ربع ساعة شعرت فانيسا وكأنها وضعت داخل مفرمة. انه لم يقل شيئاً ولكن ابتسامته الساخرة، ان اخطأت، جعلتها تتهيب الموقف. ركزت ذهنها على الصور امامها وافرغت كل ما تملكه من معلومات حتى كادت تقارب حد الاعياء. واخيراً قال:

«حسناً، يجب ان اهتمك على كمية المعلومات لديك. عندك عين ثابتة للتفاصيل. اين تعلمت كل هذا؟».

افرحتها ملاحظته فقالت:

«جدي رباتي منذ كان عمري عشر سنوات. كان يملك دكان تحف في تشلسي ويسمح لي بمساعدته في التنظيف والتلميع. هكذا بدأ اهتمامي الأول بالتحف، ثم صار جدي يأخذني الى حفلات المزاد العلني والمتاحف حيث علمني كيف انظر الى التحف المهمة. وانا محظوظة لاني املك ذاكرة جيدة واطننا مفيدة في هذا المجال».

«نعم هي كذلك. ولكن اظن انك توافقين معي ان القدرة على حفظ الاشياء ليست بديلة للخبرة العملية في مسك التحف وفحصها. انت محظوظة للفرصة التي وفرها لك جدك اذ كان حاضراً وراغباً في تمرير معلوماته اليك. هل جدك هو جوزيف بيدج؟».

«نعم. هل كنت تعرفه؟».

«معرفة سطحية. اشتريت مرة من عنده مسدسي مبارزة الثرين، ربما قبل ثلاث سنوات» وحدثه وعلل وجهه ابتسامة جذابة جعلته يبدو اصغر سناً. قدرت عمره بين ثلاث وثلاثين سنة واربع

تحرك من جانب النافذة حيث كان يتكئ، وجلس على الكرسي خلف المكتب وسحب من داخل حقيبة عمل رزمة صور ووضعها امامها قائلاً:

«اخبريني عن مواضيع هذه الصور. الطراز، الفترة التاريخية، واعطني وصفاً مختصراً لكل موضوع».

خلال ربع ساعة شعرت فانيسا وكأنها وضعت داخل مفرمة. انه لم يقل شيئاً ولكن ابتسامته الساخرة، ان اخطأت، جعلتها تتهيب الموقف. ركزت ذهنها على الصور امامها وافرغت كل ما تملكه من معلومات حتى كادت تقارب حد الاعياء. واخيراً قال:

«حسناً، يجب ان اهتمك على كمية المعلومات لديك. عندك عين ثابتة للتفاصيل. اين تعلمت كل هذا؟».

افرحتها ملاحظته فقالت:

«جدي رباتي منذ كان عمري عشر سنوات. كان يملك دكان تحف في تشلسي ويسمح لي بمساعدته في التنظيف والتلميع. هكذا بدأ اهتمامي الأول بالتحف، ثم صار جدي يأخذني الى حفلات المزاد العلني والمتاحف حيث علمني كيف انظر الى التحف المهمة. وانا محظوظة لاني املك ذاكرة جيدة واطننا مفيدة في هذا المجال».

«نعم هي كذلك. ولكن اظن انك توافقين معي ان القدرة على حفظ الاشياء ليست بديلة للخبرة العملية في مسك التحف وفحصها. انت محظوظة للفرصة التي وفرها لك جدك اذ كان حاضراً وراغباً في تمرير معلوماته اليك. هل جدك هو جوزيف بيدج؟».

«نعم. هل كنت تعرفه؟».

«معرفة سطحية. اشتريت مرة من عنده مسدسي مبارزة الثرين، ربما قبل ثلاث سنوات» وحدثه وعلل وجهه ابتسامة جذابة جعلته يبدو اصغر سناً. قدرت عمره بين ثلاث وثلاثين سنة واربع



وبلّغني من «جذك» شخص استثنائي. اذكر اني تعذبت كثيراً معه  
قبل ان يحدد لي السعر. كان اهتمامه ينصب على نيتي من وراء شراء  
القطعتين الاثريتين».

«نعم هكذا جدي. كان يحب ان يتأكد من ان الشاري سيأخذ  
التحف من عنده الى بيت لائق. ويقول إن كل قطعة يجب ان تؤخذ  
مثل عقل للتبني».

«للأسف هذه العناية لم تعد موجودة في ايامنا الحاضرة. في كل  
حال انا افهم مشاعر جذك».

«حقق فيها قليلاً ثم اضاف:

«لا اذكر اني رأيتك في الدكان».

«ربما كنت في احد اماكن شراء التحف المخفضة. في الستين  
الاخيرتين كنت اتولى الشراء».

«انت تستعملين كثيراً صيغة الماضي. هل افهم من كلامك ان  
جذك تحلّى عن مهنته؟».

«بل مات قبل ثلاثة اشهر».

شعرت أنها حزينة. ولكن الشخص الآخر لم يردد كلمات تعزية  
غالباً ما تكون فارغة، بل تساءل:

«وانت لم تشعري انك قادرة على ادارة الدكان وحده؟».

«ليت ذلك كان صحيحاً».

قالت ذلك وهي تنظر عبر النافذة مسترجعة الاسابيع التي تبعت  
وفاة جدها، والصدمة التي عانت منها. فقالت وكأنها تحدث نفسها:

«لم يكن تاجراً. كان يقبل ان يبيع مع خسارة اذا علم ان الشاري  
مثله مغرم بالاشياء القديمة، حتى ولو لم يكن قادراً على دفع القيمة  
الحقيقية للقطعة المختارة. كنت اعلم انه واقع تحت عجز مالي  
ويستمر في ادارة الدكان. ولكن ماذا يمكنني ان اقول؟ كان يفضل

المهوية على الاحتراف وكان سعيداً.

«اذن لجأتكم الى تصفية الدكان . وماذا فعلتم منذ ذلك الوقت؟»  
«لا شيء . انتهى البيع قبل اسبوعين والمالك الجديد طلب مني ان  
ابقى في الشقة مقابل مساعدته في الدكان» .  
بعد صمت قصير سألتها :

«ماذا عن خبرتك في شؤون السكرتاريا؟» .

«ليست جيدة . درست فترة قصيرة في مدرسة ليلية الطباعة على  
الآلة الكاتبة والقليل من مسك الدفاتر» .  
«باختصار، انت لا تملكين خبرة كافية» .

قال ذلك وهو يقف ويسير نحو النافذة وينظر عبرها الى الطريق  
المزدحمة . وضع يديه في جيبه من دون ان تظهر عليه اشارات سلبية او  
ايجابية . فانبسا راقبته ولم تتجراً على التمني . هل يفكر في طريقة  
مهذبة يرر لها رفضه توظيفها؟ كانت شبه واثقة انها تمكنت من اقناعه  
بقدراتها لولا التفاصيل عن شؤون السكرتاريا . فكرت ان رجلاً  
مثله لن يجد صعوبة في لفظ كلمة رافضة خصوصاً انه سبق ان قال  
انها تهدر وقتها ووقته . اذن بماذا يفكر؟

التفت اليها بسرعة وكأنه شعر بتحديقها . بدا انه اتخذ قراراً  
بشأنها . فقال اخيراً :

«آنسة بيدج، انا لن ادور حول الموضوع، سأقول رأيي بصراحة .  
رأيي في النساء انهن لا يصلحن للعمل . دائماً مشتتات الذهن ،  
يعتمدن على الحدس اكثر من المنطق . ويرفضن اي نوع من  
الوصاية» .

شعرت فانبسا انها مطعونة . وقفت بعصبية ظاهرة وقالت وهي  
تشعر ان الشرر يقدح في عينيها :  
«اذن ليس هناك ما اضيفه، آسفة لأنني اضعت وقتك» .



ذهبت بالخروج واذا به يقول بلهجة أمرة:

«احضري».

لم يرفع صوته ولكن شعرت ان عليها اطاعته.

«والله حسرات اكثر من اللازم».

قال ذلك محاولاً المزاح واطاف:

«انا لا احتاج الى موظفين يتمزقون عند اول كلمة نقد».

«ما قلت لم يكن كلمة نقد. كان هجوماً صارخاً. انا لم احضر هنا

لاسمع محاضرة عن نواقص بنات حواء. جئت من اجل وظيفة تبدو

ليها بعيدة جداً عني. هل يمكن ان اذهب الآن؟».

«من قال ان الوظيفة بعيدة عنك؟ انا اردت فقط ان ابدأ بقول

شيء لراعا اساسية كي لا تقع في سوء تفاهم في المستقبل. هذا كل

شيء». وكرر ما قلته سابقاً واطيف اني لم اكن اتوقع امرأة للوظيفة

ولكن يبدو انك الوحيدة من الذين تقدموا بطلبات توظيف ثلاثم

عرضي. ان نواقص مؤهلاتك في السكربتاريا لا تقلقني فانت

ستعتمد على مواهبك الاخرى وستكتسبين المنطق مع الوقت. انا

أفضل دائماً تدوين ما ارجب في املائي».

«هل قبلت بي موظفة عندك؟».

«ليس هذا ما جئت من اجله؟ ام انك غيرت رأيك؟».

هزت رأسها بالنفي فقال:

«ثمة ملاحظة اريد ان تكون واضحة قبل الاتفاق على اي شيء

آخر. ان الوظيفة لن تكون كعادة الوظائف في الدوام من التاسعة

صباحاً حتى الخامسة بعد الظهر. ان رالينغز هول مفتوح للجمهور

خلال الربيع والصيف. وقبل ان يبدأ الموسم المقبل اريد انهاء

الفهرسة في التحف الموجودة بالمواضيع المختلفة. اتوقع منك العمل

في كل الاوقات غير العادية وذلك حسبما اكون متفرغاً. فانا ادير

مقلعاً للحجارة يأخذ معظم وقتي خلال الأسبوع. وأظن ان اكثر العمل يمكنك القيام به وحدك. ولكن انبهك ان العمل قد يكون متعباً وقاسياً ويأخذ الكثير من وقتك. اذا كنت تخافين من ضغط العمل انصحك برفض الوظيفة التي اعرضها عليك. هل ما زلت راغبة؟».

تجاهلت فانيسا الشكوك التي طرحها وأكدت:

«طبعاً ما زلت راغبة في العمل».

«حسناً لتنتقل الى صلب الموضوع. الراتب...».

وطرح مبلغاً اعتبرته فانيسا اكثر مما كانت تتوقع ولم ترد بغير هز الرأس موافقة. فسألها:

«متى يمكنك ان تبداي العمل؟».

«في اقرب وقت، لا شيء يمكن ان يبقيني في لندن».

«حسناً. الافضل ان نسرع في العمل».

جمع اوراقه والصور واشياءه الاخرى عن المكتب وقال:

«اقترح ان تنتقلي الى الشمال يوم الاربعاء. هل يناسبك الموعد؟».

فكرت ان ذلك يعني بعد غد، وشعرت ان المجهول قريب جداً ومع ذلك اجابت:

«نعم يناسبني».

«حسناً. هذا كل شيء الآن».

نظر الى ساعته ثم اضاف:

«هل ستعودين الى المحل؟».

ردت بالايجاب. رفع سماعة الهاتف وقال لموظف الاستقبال:

«الآنسة بيدج تغادر الآن. ارجو ان تطلب لها سيارة تاكسي

وتدخل الكلفة في حسابي».



نظر إليها متسماً وقال:

«لا ارتبك إن تعلقي في زحمة الركاب».

ثم وقف ماداً يده نحوها:

«إني اللقاء يوم الأربعاء إذا، آتية بيدج، سأجد لك موعداً مناسباً في القطار وأرسل لك تذكرة مع رسالة تؤكد الاتفاق بيننا. ستحس من يتطرك في محطة مدينة شيفيلد طبعاً».

وعندما همت بالخروج قال:

«هناك شيء نسيت أن أذكره. وهو أنني سأطلب منك توقيع اتفاق عمل مع إقامة في رالينغز ستة أشهر كاملة. مقبول؟».

«إذا كنت تجد الأمر مناسباً».

خرجت من الغرفة وهي واثقة أنه يتابع خطواتها بنظراته. وما إن أصبحت في الممر الخارجي حتى تنفست الصعداء. يا له من رجل متعجرف يشتر الحنق!

كانت تشعر بانزعاج عندما ركبت سيارة التاكسي. وبعد أن استوت في مقعدها واعطت السائق العنوان الذي تقصده، أدركت أن سبب انزعاجها هو رب عملها الجديد. فكرت أن السيد ب. مالوري أثار فيها النفور. وهو شعور لم تعرفه من قبل. والنفور سيكون مع رجل وافقت على العمل معه والعيش قربه، أنها ستراه كل يوم خلال الأشهر الستة المقبلة.

حلفت فانيسا في النافذة محاولة أن تعيد رسم ملامح الرجل الذي تركته قبل لحظات. انف بارز، فم قاس، وفك مثلث. تكاد تراه بوضوح. وجه شخص يعرف تماماً ماذا يريد من الحياة ويبدو لها أنه من النوع الذي يحصل على ما يريد. وفكرت، هل مستمكّن من التعامل مع رجل مثله؟ هل يمكن لأي شخص أن يتعامل معه؟ من جهة أخرى تساءلت، هل يهم شعورها نحو هذا الرجل؟ إن

علاقتها ستكون علاقة عمل بحتة . وتوقعت ان يكون لها جناح خاص في البيت الكبير يفترض فيها ان تلزمه خارج اوقات العمل . وحتى ربما تأكل هناك . وفكرت بأن العمل سيكون في المجال الذي احبته كثيراً وظالما حلمت به . من هذه الزاوية تساءلت : ابن المشكلة ؟

كانت الساعة نحو الخامسة عندما وصلت فانيسا الى الدكان . اجراس الباب استدعت رجلاً رمادي الشعر في الواحش الخمسين من عمره من الغرفة الداخلية في الدكان . انفرجت اساريره عندما رأى فانيسا داخل المحل .

وان ابريق الشاي على النار . تعالي نجلس في الداخل . انا اعد الشاي وانت تخبريني ماذا فعلت . هل حصلت على الوظيفة ؟ .  
«نعم» .

قالت بثقة وتبعته الى الغرفة الداخلية التي بمثابة مكتب وغرفة جلوس وتابعت :

«حصلت على الوظيفة وسأسافر يوم الاربعاء» .  
«هكذا؟ هذا الرجل ما اسمه؟ يبدو انه على عجلة من امره . استغرب كيف لم ينشر اعلانه قبل الآن . هو محظوظ لانه عثر على واحدة مثلك مستعدة للعمل فوراً» .  
«اسمه مالوري ، وانا محظوظة لاني استطيت ان ابدأ في كسب معيشتي فوراً» .

وضع نيقيل مورتن فناجين الشاي وصحن الكعك على الطاولة الصغيرة . وقال وهو يسكب الشاي :  
«ولست مضطرة للبحث عن عمل . انت تعرفين ذلك . انا قلت لك اني اكون اكثر من سعيد ان قبلت البقاء هنا والعمل معي . ستكون لك شقتك . ومنصل الى اتفاق ودي حول الراتب . الا



تصليح البقاء حيث لك اصدقاء؟».

«انت صديق عزيز جداً».

وشعرت بموجة نحو الرجل اللطيف: كان قد حضر الى الدكان سحياً للاعلان الذي نشرته. ولأنه عرف جدها واحترمه، وجلدت بيع الدكان له امرأ مريحاً. صحيح انها تتألم لتركها المكان الذي اصبته بيتها لسنوات ماضية. ولكن كان يجب ان تتعد. لذلك اضطرت عن قبول عرضه بالعمل والبقاء، وقالت له:

«شكراً لك يا نيفيل. ولكن لا اظن لني سأتمكن من البقاء هنا. فلنأخذ بعيد الي ذكريات كثيرة اليمعة. واطن أن من المناسب ان ابدأ في مكان جديد حياة جديدة. الوظيفة الجديدة ستساعدني على هذه البداية خلال ستة اشهر. الراتب الذي اكون جمعه وبعض المال الذي بقي لي من بيع الدكان، ربما يساعداني على تأسيس عمل خاص بي. من يدري؟».

«حسناً. اراك صممت على ذلك. ارجو ان تتذكري دائماً انك اذا احتجت الى اي مساعدة سأكون دائماً حاضراً. الآن اخبريني عن القابلة».

«كان ثمة سوء تفاهم منذ البداية. لانه يتوقع رجلاً للوظيفة». واخبرته في ايجاز عما دار بينها وبين مالوري وفي النهاية اقرت: «الآن عندما استعيد ماذا جرى بيننا لا اكاد اصدق كيف اصبحت على اجراء المقابلة والاختبار. ولكن في تلك اللحظة شعرت ان لا شيء يهم بقدر اثبات اهليتي مثل اي رجل اخر يتقدم لوظيفة مماثلة».

«اصرارك كان مفيداً. والآن بعدما هدأت اعصابك يمكنك رؤية الاشياء بوضوح. هل تظنين انك ستترتاحين في العمل مع هذا الرجل الذي يبدو لي صعباً؟».

كلمة «صعب» وجدتها قليلة على الرجل . ربما كلمة مستبد تناسبه  
اكثر .

وقال ان اكثر العمل ساقوم به وحدي . اما في الاوقات التي  
سأضطر للعمل معه فسأحاول تقبل الازعاج . التعويض سيكون  
المكان حيث اعيش بما فيه من تحف، وهذا سيغطي على العلاقات  
الشخصية .

وامامك الكثير للتعلم يا فانيسا، اذ لا يمكنك تجاهل العلاقات  
الشخصية، ولا يمكنك ان تدفني نفسك في العمل حتى آخر  
حياتك .

في وقت لاحق، في الليل، عندما دخلت فانيسا فراشها فكرت  
بالعبارة الاخيرة التي قالها نيفيل . وتساءلت، ماذا عني بكلامه؟  
وعندما لم تجد تفسيراً، فكرت ان الأمر ليس مهماً . المهم انه خلال  
سنة اشهر مقبلة مشاكلها ستكون محلولة .



## 2. اهلا وسهلا بك

السماء كانت ملبدة بالغيوم عندما ركبت القطار من محطة لندن بعد الظهر في الطريق راحت الغيوم تنتشع بعض الشيء، وتترك فسحات زرقاء قليلة تراقبها فانيسا من نافذة القطار، كانت تعلم انها اغلقت فصلا في حياتها وفتحت فصلا جديدا وهي الان مستعدة للانطلاق في الحياة الجديدة .... فجأة شعرت انها سعيدة ومليئة بالثقة وحتى تكيرها في شخصية الرجل الذي ستعمل عنده لم يبدد شعورها بالثقة ولا حتى اسلوبه في نص الرسالة التي استلمتها منه في اليوم الفائت . الرسالة مختصرة وعملية وهي تؤكد النقاط التي اتفقا عليها في عبارات واضحة وجافة . لكن الشئ الوحيد الشخصي كان الامضاء في أسفل الصفحة : برانت مالوري.

ارتاحت في مقعدها وحاولت تذكر ماقرأته مرة عن قصر رالينغز مالوري، فرب عملها الجديد هو آخر ابناء سلالة طويلة بدأت تظهر أهميتها في العام 1550 عندما وهب الملك ادوارد السادس التاج الملكي تذكر انها عندما قرأت المقالة في مجلة أن آخر ابناء العائلة سيد القصر الحالي مايزال عازبا وكان طبعا الوضع مختلف الان وفكرت أي نوع من النساء يستحق هذا الرجل ان يعطي اسمه وبيته وخرجت بنتيجة ان المرأة يجب ان تكون من عائلة عادية.

كانت الرحلة طويلة ومملة مرة واحدة تحركت إلى مطعم القطار من اجل فنجان شاي وكان المساء قد اقترب عندما توقف القطار اخيرا في محطة شيفيلد الكبيرة المظلمة شعرت بلفحة برد وهي تنتقل في المحطة إلى قاعة الوصول. رفعت ياقة الفستان العسلي الذي كانت ترتديه لتحمي عنقها من البرد. وجدت أن الطقس أكثر بردا مما توقعت والهواء يلسع. نظرت إلى السيارات المتوقفة عليها تعثر على شخص ينتظرها دون عناء وفكرت انها اذا انتظرت طويلا فانها ستجمد من البرد فستانها الخفيف يلائم الخريف غير القاسي الذي تركته وراءها في لندن طبعا كان يجب ان تحتاط للامر. لاحظت انها تحدد صوب سيارة اوستن حمراء متوقفة على بعد امتار قليلة من باب الباحة الخارجية وشاب اشقر متكى على باب السيارة ينظر إليها ويبتسم استدارت الى الاتجاه المعاكس متوقعة ان تصل سيارة وفيها شخص يسأل عنها شعرت بخطوات خلفها وعبارات متراقصة نقول:

ألمي ضعيف ومع ذلك أسأل، هل يمكن أن تكوني الأنسة فانيسا بيدج؟

التفتت فانيسيا إلى الورااء لترى الشاب الاشقر بعينه السوداوين الذي كان  
يتكى على السيارة قبل قليل.  
نعم ، أنا هي  
فوجئ بالجواب وقال ضاحكا انه رمى بالسؤال للتحرش بها لان كان يتوقع  
غيرها.  
ألم يجد غير القول إن شعرها أحمر ليشير إليك؟  
شعري ليس أحمر  
كلا ليس كذلك انا اراه بين لوني البرونز والنحاس جميلا جدا  
ثم مد يده نحو ذراعها وتناول حقيبتها قائلا:  
انا جيرارد ترنر طلب مني برانت ان التقيك هنا واخذك الى البيت وانا  
لست نادما اطلاقا على المجئ انت تستحقين ان يتعب الشاب من اجلك فانت  
غير ماتوقعت ان تكوني  
وفي السيارة سألته:  
ماذا توقعت أن اكون؟  
توقعت ان ارى ا مرأة قاسية الملامح علمية النظرات والنظارات انا سعيد  
لاني اخطأت التقدير  
وانا سعيدة لانك تعترف بالخطأ  
وعندما أدار محرك السيارة وانتقل بها في سرعة شعرت بفضول لمعرفة  
من يكون ان تكلم عن رب عملها باسمه الاول برانت اذن يجب ان تكون  
علاقتهم حميمة واخيرا سألته:  
هل انت صديق لعائلة مالوري؟  
انا صديق الجميع وشريك في مقلع الحجارة الذي يخص العائلة شريك  
متواضع  
قال ذلك وهو يخترق فسحة ضيقة بين سيارتين في زحمة السير ويتجاهل  
ملاحظات سائق شاحنة واطاف:  
بالمناسبة برانت يكون ابن خالي ارجو ان لا تاخذي فكرة سيئة عني بسبب  
هذه القرابة فانا وهو لا نتشابه  
وافقت فانيسيا في دالخها على ان الاثنتين لا يتشابهان جيرارد يبدو اصغر  
بثمان او تسع سنوات ويملك جاذبية مباشرة من دون تعمد الخداع اعلن انه  
يتمتع برفقة النساء ويبدو معتادا على سماع كلمات الغزل بالمقابل اما ابن  
خاله فلا يبدو انه يهتم بان يحبه الناس او يكرهه.



عندما بلغا ضواحي المدينة تغير السير وغابت الزحمة اغتم جيرارد الفرصة ليضاعف من السرعة وقادتهم الطريق بين مناطق سكنية هادئة بيوتها عتيقة كبيرة امام فسحات من الحشائش المنسقة والاشجار المتوازية وبدت انها لم تتوقع الفارق بين المنطقة هنا وبين المدينة الرمادية الصاخبة التي خلفتها ورائها.

اتوقع ان نصل نحو السادسة والنصف كان برانت سيحضر الى المحطة ولكن اضطر للذهاب إلى موعد عمل طارئ انا سعيد لانه انشغل والا كنت خسرت رفقك الا توافقين معي؟

خسارة كبيرة جدا

بادلته المزاح ووجدته ظريفا شعرت بارتياح لان برانت مالوري لم يتمكن من الحضور ولكن افرحتها الملاحظة ان برانت فكر فيها ممتاز لا عن تعاليه.

سألت رفيقها في السيارة:

اخبرني عن البيت هل تسكن هناك؟

انا اخر من يمكن ان يسأل عن قصر رالينغز اكره المكان متحف كبير لاشياء لا نفع لها ساكون صادقا معك انا اسكن هناك فقط لانه لا يمكنني تحمل مصاريف السكن في مكان غيره وفي المستوى ذاته ولانه ملك لابن خالي فهذا لا يساعد على جعلي احب المكان فلسنا اصدقاء كما يمكن ان يخيل إليك  
الا تحبه؟

هو لا يحبني لولا امي لكنت رميت خارج البيت من زمن بعيد  
جديته في الكلام لم تطل عاد للمزاح:

ان وجودك في القصر سينير الايام السوداء اللانهائية  
ضحكت فانيسيا فكرت ان جيرارد لا يمكن ان يكره احد حبه للمزاح اعطاها فرحا طفوليا نسيته منذ سنوات شعرت ان معنوياتها مرتفعة والطريق امامها تقتمح الوديان والسهول والتلال تنتسج او تضيق من دون ان تلغي المناظر الخلابة للريف البريطاني في الخريف وقالت في نفسها من كان يظن ان ارضا جميله بهذا الشكل يمكن ان تكون على بعد قليل من مدينة الصلب والفولاذ؟ تمن ان تسنح لها الفرصة لتتجول في هذه الانحاء وتتعرف عليها.

واخيرا استدار جيرارد بالسيارة نحو طريق فرعية ثم خفف من سرعته ليدخل طريقا ضيقة ثم عبر باب حديد ضخما ليصبح داخل ارض خاصة واخيرا يستقر امام مبنى قصر قديم سحبت فانيسيا نفسا طويلا: اذن هذا هو

ر الينغز هول.

البناء يعود إلى القرن السادس عشر اضيفت إليه اجنحة على فترات متباعدة فبدأ متعدد الاشكال حسب العصور تتنوع فيه السقوف والشبابيك وتختلط فيه حجارة البناء الرمادية بالاشخاب والقرميد بدأ القصر العتيق مع اخر خيط سماوي ازرق في مظهر خلاب .  
أوقف جيرارد السيارة واطفاً المحرك .

السادسة والنصف تماما انزلي ياحلوة دعيني اعرفك على بيتك الجديد .  
السادسة والنصف تماما انزلي ياحلوة دعيني اعرفك على بيتك الجديد .  
مع صعودهما عتابت السلام الخارجية فتح باب ضخم وظهر منه رجل مسن في ثياب رسمية داكنة ترتفع حتى الرقبة قال الرجل محبياً:  
سمعت صوت السيارة فاسرعت اليكما هل تريد السيارة هذا المساء سيد جيرارد ام تريدني ان اضعها في الكاراج قبل حضور السيد برانت؟ انت تعرف كم يكره سيد القصر هذا التصرف  
تمتم جيرارد كلمات غير مفهومة بدت كأنها تطعن سيد القصر ثم قال:

اظن انه من الافضل ان تنقل السيارة من مكانها  
واضاف موجهها كلامه إلى فانيسا:  
هذا بانيت او سمه الجنرال العملي  
ضحك الرجل المسن قائلاً:  
نعم انا كذلك

ثم نظر إلى فانيسا وقال:

نأمل هذه المرة ان تمضي عندنا وقتاً اطول من الذي سبقك فقد غادرنا بسرعة ولا اظن انه كان مخطئاً

وتابع سيره نحو السيراة في حين دخل جيرارد البيت ماسكاً ذراع فانيسا القاعة الكبرى تحتل وسط القصر وترتفع حتى خشبة السقف المدفأة الضخمة يشتعل فيها لحطب مما يضيء على المكان اشكالاً راقصة خاصة على الحيطان المكسوة بالخشب والسلم الدائري وسط القاعة المزين بالنقوش .

نسيت رفيقها وراحت تتأمل محيطها باهتمام شديد اهتمام اخصائي تحف تحركت عبر القاعة ومررت يدها على سطح طاولة كبيرة في منتصف القاعة من عصر الملكة اليزابيث الاولى وعقلها مشغول بقيمة الاشياء امامها .

أنه رائع... رائع..

لا اظن انك تتمكنين برأيك ان كنت مسؤولة عن تنظيف



جاءها صوت جاف لأمرأة من الورااء.. بدت بطول فانيسيا ولكن بضعف حجمها كانت ترتدي رداء ابيض وشعرها ابيض عندما تكلمت للمرة الثانية سألت جيرارد.

هل صادفت بانيت في أي مكان عندما دخلت يا سيد جيرارد؟ قلت له ان يوقد السخان منذ اكثر من نصف ساعة وحتى الان لم يفعل الان فهمت لماذا بدا مستعجلا في الخروج. هل عدتما مجددا إلى الخناق يا ايمي؟

خناق؟ اريدك ان تعلم اني لا اتعب نفسي في مجادلة شخص مثل كلايتون بانيت لا يعرف حدوده واطن ان الوقت حان لاحالته على التقاعد والتخلي عن خدماته

ضحك جيرارد وتولى تعريف المرأتين:

الانسة فانيسا بيدج ، السيدة اميلين روجدرز مديرة المنزل في رالينغز منذ ان بدأ وعيي وهي المرأة الوحيدة التي تحمل المفتاح إلى قلبي لاتجرب لسانك المعسول علي ياولد

قالت ثم نظرت إلى فانيسا متفحصة مسجلة التفاصيل الدقيقة للفتاة الاتية من المدينة لم تكن تعابيرها تحمل الصداقة.

سأدلك على غرفتك يا انسة بيدج لا تشغلي بالك بالحقائب بانيت سيجلبها لك عندما يحضر

وسارت امامها تقودها الى غرفتها عبر السلام وقال جيرارد لفانيسا:

لن تصدقي ابدا ان ايمي تحمل قلبا طيبا على الرغم من هذا المظهر

الشرس، عليك فقط ان تعتادي عليها ارجو ان اراك على العشاء

وقبل ان تتابع طريقها على السلام توقفت فانيسا لتتظر إلى جيرارد الذي بقي واقفا في اسفل السلام وسألته:

جيرارد ماذا قصد بانيت عندما قال ان الموظف قبلي غادر المكان بسرعة؟

تماما مثلما قال الاخير امضى هنا ثمانية اسابيع والذي قبله ستة اسابيع انت

الثالثة ربما تكون الثالثة ثابتة كما يقولون

لماذا غادر المكان؟

بعدها التقيت بالرجل هل من مجال بعد للسؤال؟

ربما لا

وتابعت خطواتها خلف مدبرة المنزل في نهاية السلام استدارت ايمي الى

اليمين ومرت داخل متحف كبير ثم ممرات علقت على حيطانها لوحات

كبيرة تمثل معارك قديمة وعلى الرفوف والزوايا اشكال من الاسلحة القديمة

ربما تكون اقدم من البيت نفسه وفي احد الزوايا صندوق محفور من جذع

شجرة ضخمة وقديم رغبت كثيرا فانيسا ان تلمسه وتتفحصه واجلت ذلك لوقت مناسب .

كانت غرفتها في اخر المنزل مريحة الاثاث من الطراز الفكتوري تغطي النوافذ الضخمة ستائر مخملية سميقة ومدفأة تشتعل مرحبة لاحظت حماما ملاصقا للغرفة وفيه معدات صحية حديثة تختلف تماما عن اجواء المنزل الغارق في التاريخ.

العشاء في الثامنة تماما

قالت ايمي وهي تغادر الغرفة .

ليس عليك ارتداء أي شيء خاص السيد برانت لا يجعل ملابس العشاء رسمية الا اذا كان ثمة ضيوف وانت ستعيشين هنا مثل فرد من الاسرة طيلة اقامتك عندنا

اغلقت الباب خلفها وابتعدت ايمي في الممرات مع رجوع صدى الخطوات في اذني فانيسا وخطوات اخرين في اتجاهات مختلفة واصوات مناقشات غير مفهومة بعد قليل سمعت طرقا على الباب وعندما فتحت للطارق دخل بانيت مع حقيبتها وقال :

هذه المرأة ستلقي نهاية تعيسة يوما ما

وضع حقيبتها جانبا وغادر المكان وهو يتمتم بعبارات غير مفهومة تنال من مدبرة المنزل .

قبل الثامنة بقليل كانت فانيسا قد انهت حمامها وارتدت ملابسها وسارت عبر الممرات الى المتحف فالقاعة الدائرية حول السلام ونزلت، على جردات السلالم وجدت نفسها تنزل ببطء وتتأمل صور وجوه لاشخاص في شكل متواز لافراد سلالة مالوري من الاجداد الى الاحفاد تشابه في الملامح القاسية على الرغم من اختلاف تصفيف الشعر والثياب في صور النساء بعض الاختلاف الملامح انعم الانف اقل حدة ولكن بدا لها الكل يحملون النظرة المتسلطة ذاتها عيونهم نحوها جعلتها تشعر وكأنها اخترقت حرمتهم فازعجتهم ابتسمت للفكرة ولكن لم تستطع ان تتحي عنها الشعور بالنفور .  
لدى وصولها إلى القاعة الكبرى في الطبقة الارضية احتارت أي باب تتجه من الابواب المتعددة الموزعة في انحاء القاعة احد الابواب كان متقوحا قليلا اقتربت منه طرقت عليه ودخلت لتجد نفسها في داخل غرفة جلوس مكسوة الحيطان بالحرير المزركش والسجاد الصيني يغطي الارض وسيدة جالسة على مقعد من نسيج الحرير المشجر بجوار المدفأة تبادلتا النظر في صمت وموسيقى بيانو تنبعت من راديو أو آله اسطوانات مخفية .



السادسة والنصف تماما انزلي ياحلوة دعيني اعرفك على بيتك الجديد .  
مع صعودهما عتبات السلام الخارجية فتح باب ضخم وظهر منه رجل  
مسن في ثياب رسمية داكنة ترتفع حتى الرقبة قال الرجل محييا:  
سمعت صوت السيارة فاسرعت اليكما هل تريد السيارة هذا المساء سيد  
جيرارد ام تريدني ان اضعها في الكاراج قبل حضور السيد برانت؟ انت  
تعرف كم يكره سيد القصر هذا التصرف  
تمتم جيرارد كلمات غير مفهومة بدت كأنها تطعن سيد القصر ثم قال:  
اظن انه من الافضل ان تنقل السيارة من مكانها  
واضاف موجهها كلامه إلى فانيسا:  
هذا بانيت او سمه الجنرال العملي  
ضحك الرجل المسن قائلا:

نعم انا كذلك

ثم نظر إلى فانيسا وقال:

نأمل هذه المرة ان تمضي عندنا وقتا اطول من الذي سبقك فقد غادرنا  
بسرعة ولا اظن انه كان مخطئا

وتابع سيره نحو السيرة في حين دخل جيرارد البيت ماسكا ذراع فانيسا  
القاعة الكبرى تحتل وسط القصر وترتفع حتى خشبة السقف المدفأة  
الضخمة يشتعل فيها لحطب مما يضيء على المكان اشكالا راقصة خاصة  
على الحيطان المكسوة بالخشب والسلم الدائري وسط القاعة المزين  
بالنقوش.

نسيت رفيقها وراحت تتأمل محيطها باهتمام شديد اهتمام اخصائي تحف  
تحركت عبر القاعة ومررت يدها على سطح طاولة كبيرة في منتصف  
القاعة من عصر الملكة اليزابيث الاولى وعقلها مشغول بقيمة الاشياء  
امامها.

أنه رائع....رائع..

لا اظن انك تتمسكين برأيك ان كنت مسؤولة عن تنظيفة  
جاءها صوت جاف لأمرأة من الورااء.. بدت بطول فانيسيا ولكن بضعف  
حجمها كانت ترتدي رداء ابيض وشعرها ابيض عندما تكلمت للمرة الثانية  
سألت جيرارد.

هل صادفت بانيت في أي مكان عندما دخلت يا سيد جيرارد؟ قلت له ان  
يوقد السخان منذ اكثر من نصف ساعة وحتى الان لم يفعل  
الان فهتمت لماذا بدا مستعجلا في الخروج. هل عدتما مجددا إلى الخناق يا

ايامي؟

خناق؟ اريدك ان تعلم اني لا اتعب نفسي في مجادلة شخص مثل كلايتون بانيت لا يعرف حدوده واطن ان الوقت حان لاحالته على التقاعد والتخلي عن خدماته

ضحك جيرارد وتولى تعريف المرأتين:

الانسة فانيسا بيدج ، السيدة اميلين روجدرز مديرة المنزل في رالينغز منذ ان بدأ وعيي وهي المرأة الوحيدة التي تحمل المفتاح إلى قلبي لاتجرب لسانك المعسول علي ياولد قالت ثم نظرت إلى فانيسا متفحصة مسجلة التفاصيل الدقيقة للفتاة الاتية من المدينة لم تكن تعابيرها تحمل الصداقة. سأدلك على غرفتك يا انسة بيدج لا تشغلي بالك بالحقائب بانيت سيجلبها لك عندما يحضر

وسارت امامها تقودها الى غرفتها عبر السلام وقال جيرارد لفانيسا:

لن تصدقي ابدا ان ايامي تحمل قلبا طيبا على الرغم من هذا المظهر

الشرس، عليك فقط ان تعتادي عليها ارجو ان اراك على العشاء

وقبل ان تتابع طريقها على السلام توقفت فانيسا لتتظر إلى جيرارد الذي

بقي واقفا في اسفل السلام وسألته:

جيرارد ماذا قصد بانيت عندما قال ان الموظف قبلي غادر المكان بسرعة؟

---

تماما مثلما قال الاخير امضى هنا ثمانية اسابيع والذي قبله ستة اسابيع انت الثالثة ربما تكون الثالثة ثابتة كما يقولون

لماذا غادر المكان؟

بعدما التقيت بالرجل هل من مجال بعد للسؤال؟

ربما لا

وتابعت خطواتها خلف مدبرة المنزل في نهاية السلام استدارت ايامي الى

اليمين ومرت داخل متحف كبير ثم ممرات علقت على حيطانها لوحات

كبيرة تمثل معارك قديمة وعلى الرفوف والزوايا اشكال من الاسلحة القديمة

ربما تكون اقدم من البيت نفسه وفي احد الزوايا صندوق محفور من جذع

شجرة ضخمة وقديم رغبت كثيرا فانيسا ان تلمسه وتتفحصه واجلت ذلك

لوقت مناسب.

كانت غرفتها في اخر المنزل مريحة الاثاث من الطراز الفكتوري تغطي

النوافذ الضخمة ستائر مخملية سميقة ومدفأة تشتعل مرحبة لاحظت حماما



ايامي؟

خناق؟ اريدك ان تعلم اني لا اتعب نفسي في مجادلة شخص مثل كلايتون بانيت لا يعرف حدوده واطن ان الوقت حان لاحالته على التقاعد والتخلي عن خدماته

ضحك جيرارد وتولى تعريف المرأتين:

الانسة فانيسا بيدج ، السيدة اميلين روجدرز مديرة المنزل في رالينغز منذ ان بدأ وعيي وهي المرأة الوحيدة التي تحمل المفتاح إلى قلبي لاتجرب لسانك المعسول علي ياولد قالت ثم نظرت إلى فانيسا متفحصة مسجلة التفاصيل الدقيقة للفتاة الاتية من المدينة لم تكن تعابيرها تحمل الصداقة. سأدلك على غرفتك يا انسة بيدج لا تشغلي بالك بالحقائب بانيت سيجلبها لك عندما يحضر

وسارت امامها تقودها الى غرفتها عبر السلام وقال جيرارد لفانيسا:

لن تصدقي ابدا ان ايامي تحمل قلبا طيبا على الرغم من هذا المظهر

الشرس، عليك فقط ان تعتادي عليها ارجو ان اراك على العشاء

وقبل ان تتابع طريقها على السلام توقفت فانيسا لتتظر إلى جيرارد الذي

بقي واقفا في اسفل السلام وسألته:

جيرارد ماذا قصد بانيت عندما قال ان الموظف قبلي غادر المكان بسرعة؟

---

تماما مثلما قال الاخير امضى هنا ثمانية اسابيع والذي قبله ستة اسابيع انت الثالثة ربما تكون الثالثة ثابتة كما يقولون

لماذا غادر المكان؟

بعدما التقيت بالرجل هل من مجال بعد للسؤال؟

ربما لا

وتابعت خطواتها خلف مدبرة المنزل في نهاية السلام استدارت ايامي الى

اليمين ومرت داخل متحف كبير ثم ممرات علقت على حيطانها لوحات

كبيرة تمثل معارك قديمة وعلى الرفوف والزوايا اشكال من الاسلحة القديمة

ربما تكون اقدم من البيت نفسه وفي احد الزوايا صندوق محفور من جذع

شجرة ضخمة وقديم رغبت كثيرا فانيسا ان تلمسه وتتفحصه واجلت ذلك

لوقت مناسب.

كانت غرفتها في اخر المنزل مريحة الاثاث من الطراز الفكتوري تغطي

النوافذ الضخمة ستائر مخملية سميقة ومدفأة تشتعل مرحبة لاحظت حماما

ملاصقا للغرفة وفيه معدات صحية حديثة تختلف تماما عن اجواء المنزل الغارق في التاريخ.

العشاء في الثامنة تماما

قالت ايمي وهي تغادر الغرفة.

ليس عليك ارتداء أي شئ خاص السيد برانت لا يجعل ملابس العشاء رسمية الا اذا كان ثمة ضيوف وانت ستعيشين هنا مثل فرد من الاسرة طيلة اقامتك عندنا

اغلقت الباب خلفها وابتعدت ايمي في الممرات مع رجوع صدى الخطوات في اذني فانيسا وخطوات اخرين في اتجاهات مختلفة واصوات مناقشات غير مفهومة بعد قليل سمعت طرقا على الباب وعندما فتحت للطارق دخل بانيت مع حقيبتها وقال:

هذه المرأة ستلقي نهاية تعيسة يوما ما

وضع حقيبتها جانبا وغادر المكان وهو يتمتم بعبارات غير مفهومة تنال من مدبرة المنزل.

قبل الثامنة بقليل كانت فانيسا قد انهت حمامها وارتدت ملابسها وسارت عبر الممرات الى المتحف فالقاعة الدائرية حول السلام ونزلت، على جردات السلالم وجدت نفسها تنزل ببطء وتتأمل صور وجوه لاشخاص في شكل متواز لافراد سلالة مالوري من الاجداد الى الاحفاد تشابه في الملامح القاسية على الرغم من اختلاف تصفيف الشعر والثياب في صور النساء بعض الاختلاف الملامح انعم الانف اقل حدة ولكن بدا لها الكل يحملون النظرة المتسلطة ذاتها عيونهم نحوها جعلتها تشعر وكأنها اخترقت حرمتهم فازعجتهم ابتسمت للفكرة ولكن لم تستطع ان تتحي عنها الشعور بالنفور. لى وصولها إلى القاعة الكبرى في الطبقة الارضية احتارت أي باب تتجه من الابواب المتعددة الموزعة في انحاء القاعة احد الابواب كان متفوحا قليلا اقتربت منه طرقت عليه ودخلت لتجد نفسها في داخل غرفة جلوس مكسوة الحيطان بالحرير المزركش والسجاد الصيني يغطي الارض وسيدة جالسة على مقعد من نسيج الحرير المشجر بجوار المدفأة تبادلنا النظر في صمت وموسيقى بيانو تتبععت من راديو أو آله اسطوانات مخفية.

أنا فانيسا بيدج

قالت فانيسا بعد لحظات صمت متسائلة اذا كان الاستغراب على وجه المرأة هو نتيجة يقظتها من شرود طويل او لأنها لم تتوقع ان تدخل اليها السكرتيرة الجديدة دون استئذان؟ شعرت انها غريبة جدا في محيط غريب ولا تعرف كيف تتصرف ولا ماذا تعني عبارة ستعيشين هنا مثل فرد من

ملاصقا للغرفة وفيه معدات صحية حديثة تختلف تماما عن اجواء المنزل الغارق في التاريخ.

العشاء في الثامنة تماما

قالت ايمي وهي تغادر الغرفة.

ليس عليك ارتداء أي شئ خاص السيد برانت لا يجعل ملابس العشاء رسمية الا اذا كان ثمة ضيوف وانت ستعيشين هنا مثل فرد من الاسرة طيلة اقامتك عندنا

اغلقت الباب خلفها وابتعدت ايمي في الممرات مع رجوع صدى الخطوات في اذني فانيسا وخطوات اخرين في اتجاهات مختلفة واصوات مناقشات غير مفهومة بعد قليل سمعت طرقا على الباب وعندما فتحت للطارق دخل بانيت مع حقيبتها وقال:

هذه المرأة ستلقي نهاية تعيسة يوما ما

وضع حقيبتها جانبا وغادر المكان وهو يتمتم بعبارات غير مفهومة تنال من مدبرة المنزل.

قبل الثامنة بقليل كانت فانيسا قد انهت حمامها وارتدت ملابسها وسارت عبر الممرات الى المتحف فالقاعة الدائرية حول السلام ونزلت، على جردات السلالم وجدت نفسها تنزل ببطء وتتأمل صور وجوه لاشخاص في شكل متواز لافراد سلالة مالوري من الاجداد الى الاحفاد تشابه في الملامح القاسية على الرغم من اختلاف تصفيف الشعر والثياب في صور النساء بعض الاختلاف الملامح انعم الانف اقل حدة ولكن بدا لها الكل يحملون النظرة المتسلطة ذاتها عيونهم نحوها جعلتها تشعر وكأنها اخترقت حرمتهم فازعجتهم ابتسمت للفكرة ولكن لم تستطع ان تتحي عنها الشعور بالنفور. لى وصولها إلى القاعة الكبرى في الطبقة الارضية احتارت أي باب تتجه من الابواب المتعددة الموزعة في انحاء القاعة احد الابواب كان متفوحا قليلا اقتربت منه طرقت عليه ودخلت لتجد نفسها في داخل غرفة جلوس مكسوة الحيطان بالحرير المزركش والسجاد الصيني يغطي الارض وسيدة جالسة على مقعد من نسيج الحرير المشجر بجوار المدفأة تبادلنا النظر في صمت وموسيقى بيانو تتبععت من راديو أو آله اسطوانات مخفية.

أنا فانيسا بيدج

قالت فانيسا بعد لحظات صمت متسائلة اذا كان الاستغراب على وجه المرأة هو نتيجة يقظتها من شرود طويل او لأنها لم تتوقع ان تدخل اليها السكرتيرة الجديدة دون استئذان؟ شعرت انها غريبة جدا في محيط غريب ولا تعرف كيف تتصرف ولا ماذا تعني عبارة ستعيشين هنا مثل فرد من



الأسرة.

وأخيرا قالت المرأة الأخرى:

طبعاً أنت فانيسا عذرا عزيزتي ان حملت بك هكذا بالحقيقة أنت غير ما توقعت تعالي انسة بيدج اجلسي هنا انا نورا ترنر عمة برانت اين والدة جيراراد اذا انها لم تكن ستحرز القرابة اذ ليس من شبه بينها وبين ابنها انها من عائلة مالوري اولا واخرا وملاحها مثلهم ربما ورث جيراراد ملامحه من والده الذي لم يقل عنه شيئا .

عينا ترنر زرقاوان زاهيتان اكثر من عيني ابن شقيقها راحت تتفحص فانيسا وهي تجلس إلى جانبها.

أنت صغيرة على تخزين المعلومات التي تمكنت بها من التأثير على برانت اخبريني عن مؤهلاتك عندي فضول لمعرفة كيف جعلت ابن شقيقي يغير من نفوره في العمل مع النساء من قال أن نفوري تغير؟

قال هذه العبارة رجل دلف لتوه إلى الغرفة واذا به برانت مالوري نفسه الذي اضاف :

هل يمكن ان يكون الشحاذ مشارطا؟

شعرت فانيسا بالعداء يخترف مسامها ربما يكون تبعها وهي على السلام وراقبها في القاعة الكبرى من دون ان يقترب منها ويزيل ارتباكها. عذرا لاني لم اتمكن من المجئ إلى المحطة عمل طارئ اخرنى ولكني متأكد ان ابن عمتي قام بالواجب كاملا وعلى فكرة اين هو الان؟ ان الساعة تقترب من الثامنة.

ردت العمة بامتعاض:

لا بد انه قرر السهر في الخارج هذه الليلة

اشك في ذلك. ليس الليلة

قال ذلك وهو ينظر إلى فانيسا وبدا كأنه سيضيف شيئا ولكن صوت الناقسة من القاعة الكبرى دق معلنا الدعوة إلى العشاء.

حسنا لا اظن اننا سننتظره

قال برانت مالوري وسار بين المرأتين عبر القاعة الكبرى في غرفة الطعام جلسوا إلى طاولة كبيرة مملأى بأواني الكريستال والفضة وباشر خادم صب الحساء من دون تأخير.

بعد قليل وصل جيراراد وقال من دون ان يبدو منزعجا:

عفوا نسيت الوقت

وجلس إلى جانب فانيسا بعدما غمزها من دون ان يكثرث إن شاهد احد أو

لم يشاهده وأضاف:

أنا سعد أنك هنا يا فانيسا والا كنت ساسمع محاضرة الان عن اهمية الدقة في المواعيد.

في غرفة الجلوس تناول الجميع القهوة وقالت السيدة ترنر لفانيسا:  
علمت أنك كنت تعملين في مجال التحف قبل ان تاتي إلى هنا لا تجدين عالم التحف صعبا على المرأة؟

انه عالم صعب لاي كان والنساء لسن ضعيفات في هذا المضمار  
قالت فانيسا في ارتياح وردت على اسئلة مختلفة عن حياتها السابقة  
وتجربتها في عالم التحف وبدأت واثقة من معلوماتها واثقة من نفسها على  
الرغم من ارتباكها الداخلي واذا بنورا ترنر تقول:  
اتعلم يا برانت ان هذه الفتاة لن تعرف الخوف منك مثل الذين سبقوها  
واجاب برانت :

امل ذلك ولكن بعض الشدة يبقى مفيدا

هل هذا تحذير؟ فكرت فانيسا انه لن يقبل أي تصرف خاطئ منها ووجه  
الصارم يبدو لغزا يصعب حله وجدت فانيسا نفسها مغناظة ومتوترة  
فركزت على فنجان الشاي بين يديها وراحت تحتسيه بصمت.

بعد قليل دعاها برانت إلى اللحاق به في غرفة المكتب لانها بعض المهام  
العالقة هناك وجدت الغرفة تعكس نفسية صاحبها مرتبة وصارمة ، جلس  
رب عملها الى مكتب خشبي ضخم خلفه نافذة كبيرة مغطاة بستائر مخملية  
دعاها إلى الجلوس على كرسي في مواجهته وطلب منها توقيع عقد العمل  
مع الإقامة ستة اشهر مثلما اتفقا.

إلا اذا غيرت رأيك في العمل والبقاء

خلال وهلة كادت فانيسا تقبل التراجع من السهل القول انها اخطأت التقدير  
وجدت انها لا تفهم الرجل وربما لن تفهمه ابدا فبرانت مالوري ليس شخصا  
يمكن ان لا يجعل المرء تجاهه أي شعور بل اما ان تقبله كما هو او لا  
وشعرت فانيسا انها تميل نحو الكره بدا متعجرفا ومعتزا بذاته و.....  
جذابا.

فكرت انها اذا تركت العمل هنا فانها لن تتعرف الى التحف الموجودة ولن  
تسبح لها فرصة اخرى ولماذا تريد ان ترفض العمل؟  
من اجل شعور عدائي تجاه رجل سيكون غائبا أكثر الوقت؟  
لن أغير رأيي في اخر لحظة طبعاً لا  
تناولت القلم امامها ووقعت على اسفل الورقة.

انت شديدة الثقة بالآخرين لم تحاولي قراءة العقد كان يمكن ان اضع أي ش

ارغبه وانت توقعين  
لم يخطر في بالها ذلك الاحتمال اذ مهما كانت سيئاته فانه يبدو رجلا نزيها .  
في كل حال لا تشغلي بالك في الموضوع البنود هي تماما مثلما اتفقنا يوم  
الاثنين  
وقفت فانيسا ترغب في الخروج فطلب منها ان تبقى ليعد لها شرابا احتفالا  
بالمناسبة .  
وفيما هو يعد الشراب راحت تنظر إلى صورة امرأة على رف فوق المدفأة  
المرأة شقراء بنفسجية العينين مجعدة الشعر في ترتيب ودقيقة الملامح .  
انها أمي  
علق برانت من ورائها .  
انها جميلة جدا  
قالت فانيسا وهي تستدير نحوه كانت تظن ان الصورة لزوجته .  
ولكن الآن بدا واضحا ان الرجل عازب .  
قدم لها كوب الشراب وتابع الحديث عن امه :  
ماتت قبل ست عشرة سنة  
ثم بدا وكأنه يطرد ذكرى اليمه عن ملامحه نظر إلى فانيسا وابتسم تلك  
الابتسامة الجذابة وقال رافعا كوبه :

---

أهلا وسهلا بك في رالينغز يا آنسة بيدج أرجو أن تكون إقامتك سعيدة

### 3. عصفورة الانتكا

استيقظت فانيسا باكرا ومرت لحظات وهي تراقب من سريرها انعكاس  
شعاع الشمس يتراقص في سقف الغرفة وما لبثت أن قفزت من مكانها  
وسارت عارية القدمين حتى النافذة الكبيرة وجدتها تطل على باحة خارجية  
كبيرة مرصوفة الحجارة تتخللها مشاتل أزهار وتحيط الباحة اشجار  
متوازية وفسحات من العشب الاخضر وفي البعيد بدت بحيرة مياه والطقس  
صاح مع ان الغيوم تتسابق في كبد السماء مثل خراف راکضة .  
احبت المكان كم هو رائع ان يملك شخص مكانا بهذا الجمال ويعرف جيدا  
انه جزء من مراحل تاريخية ياله من ارث جميل يعطيه الاباء للابناء .  
استحمت وارتدت ثيابها بسرعة وغادرت غرفتها صمت عميق يخيم على  
القاعة الكبرى انعكاس اشعة الشمس سخترق النوافذ العالية ويضفي على



ارغبه وانت توقعين  
لم يخطر في بالها ذلك الاحتمال اذ مهما كانت سيئاته فانه يبدو رجلا نزيها .  
في كل حال لا تشغلي بالك في الموضوع البنود هي تماما مثلما اتفقنا يوم  
الاثنين  
وقفت فانيسا ترغب في الخروج فطلب منها ان تبقى ليعد لها شرابا احتفالا  
بالمناسبة .  
وفيما هو يعد الشراب راحت تنظر إلى صورة امراة على رف فوق المدفأة  
المرأة شقراء بنفسجية العينين مجعدة الشعر في ترتيب ودقيقة الملامح .  
انها أمي  
علق برانت من ورائها .  
انها جميلة جدا  
قالت فانيسا وهي تستدير نحوه كانت تظن ان الصورة لزوجته .  
ولكن الآن بدا واضحا ان الرجل عازب .  
قدم لها كوب الشراب وتابع الحديث عن امه :  
ماتت قبل ست عشرة سنة  
ثم بدا وكأنه يطرد ذكرى اليمه عن ملامحه نظر إلى فانيسا وابتسم تلك  
الابتسامة الجذابة وقال رافعا كوبه :

---

أهلا وسهلا بك في رالينغز يا آنسة بيدج أرجو أن تكون إقامتك سعيدة

### 3. عصفورة الانتكا

استيقظت فانيسا باكرا ومرت لحظات وهي تراقب من سريرها انعكاس  
شعاع الشمس يتراقص في سقف الغرفة وما لبثت أن قفزت من مكانها  
وسارت عارية القدمين حتى النافذة الكبيرة وجدتها تطل على باحة خارجية  
كبيرة مرصوفة الحجارة تتخللها مشاتل أزهار وتحيط الباحة اشجار  
متوازية وفسحات من العشب الاخضر وفي البعيد بدت بحيرة مياه والطقس  
صاح مع ان الغيوم تتسابق في كبد السماء مثل خراف راکضة .  
احبت المكان كم هو رائع ان يملك شخص مكانا بهذا الجمال ويعرف جيدا  
انه جزء من مراحل تاريخية ياله من ارث جميل يعطيه الاباء للابناء .  
استحمت وارتدت ثيابها بسرعة وغادرت غرفتها صمت عميق يخيم على  
القاعة الكبرى انعكاس اشعة الشمس سخترق النوافذ العالية ويضفي على

التحف الموزعة في القاعة بريقا لا يقدر بثمن في الباحة الخارجية راحت  
تنتشق بعمق الهواء النقي محدقة باهتمام شديد في المناظر الجميلة و اذا  
بصوت يأتيها من فوق التفتت لترى رأس جيرارد يطل من احدى النوافذ  
بشعره الاشقر المبعثر.

ايتها العصفورة المستيقظة باكرا انتظريني حيث انت ساكون معك في  
لحظات معدودة

مرت عشر دقائق وفانيسا جالسة على طرف حائط سيدة وجذلى وظهر  
جيرارد بلباس خفيف جذابا بالبنتال والقميص الخفيف. بادرها:  
هل انت من الذين يستيقظون باكرا؟ أم انك اليوم متحمسة لاكتشاف  
المكان؟

الاثنان معا انا لا استطيع البقاء في فراشي عندما استيقظ  
اذن انت تشاركين والدتي وبرانت في ذلك اما انا فاستيقظ في حالة واحدة  
فقط وهي عندما يكون هناك شي يستحق القيام من اجله باكرا...مئلك  
اخجلت تواضعي لسانك المعسول يخدع العذارى  
اقترب منها ضاحكا وجلس إلى جانبها على طرف الحائط وقال:  
لا اظن انك من النوع الذي يخدعه لساني.. اليس كذلك يا حلوتي؟ ان الحب  
يجب ان لا يؤخذ بجدية خصوصا لفتاة في مثل عمرك  
اظن ان الحب يجب ان يؤخذ دائما في جدية وفي مختلف الاعمار ما  
تقصده هنا هو ان لا افوت الفرص في بعض النزوات الخفيفة. واطن انك  
تطرح نفسك شريطا في مثل هذه النزوات.

احسنت القول نعم انا ارى ان الحياة وجدت لنحياها وانا ارغب كثيرا في  
عناقك فانيسا هل ستمنعيني من تحقيق هذه الرغبة خلال الستة اشهر  
المقبلة؟

الا تعرف ان ثمة سلوكا يعرف بالتهذيب؟  
سألت من دون ان يزعجها كلامه الذي لم تعتبره خارج اطار المزاح  
ونزلت عن الحائط لتسير في الباحة معلنة رغبتها في التنزه.  
هل انت خائفة مني؟

سألها من دون ان يتوقع اجابة ورافقها في النزهة محاولا ان يضيف على  
الصباح رونقا فكاهايا ومر بعض الوقت الى ان سمعا صوت الناقوس  
يدعوهما إلى الفطور فتوجها مباشرة الى غرفة الطعام حيث سبقهما  
الاخرون نظرت السيدة ترنر الى ابنها وبدت متفاجئة بنشاطه فسألت:  
هل كنت مستيقظا منذ فترة طويلة؟

انا استيقظت منذ اكثر من ساعة فانيسا كانت تريني الحديقة وطبعا انا لا

التحف الموزعة في القاعة بريقا لا يقدر بثمن في الباحة الخارجية راحت  
تنتشق بعمق الهواء النقي محدقة باهتمام شديد في المناظر الجميلة و اذا  
بصوت يأتيها من فوق التفتت لترى رأس جيرارد يطل من احدى النوافذ  
بشعره الاشقر المبعثر.

ايتها العصفورة المستيقظة باكرا انتظريني حيث انت ساكون معك في  
لحظات معدودة

مرت عشر دقائق وفانيسا جالسة على طرف حائط سيدة و جدلى و ظهر  
جيرارد بلباس خفيف جذابا بالبنتال و القميص الخفيف . بادرها :  
هل انت من الذين يستيقظون باكرا؟ أم انك اليوم متحمسة لاكتشاف  
المكان؟

الاثنان معا انا لا استطيع البقاء في فراشي عندما استيقظ  
اذن انت تشاركين و الدتي و برانت في ذلك اما انا فاستيقظ في حالة واحدة  
فقط وهي عندما يكون هناك شي يستحق القيام من اجله باكرا...مئلك  
اخجلت تواضعي لسانك المعسول يخدع العذارى  
اقترب منها ضاحكا و جلس إلى جانبها على طرف الحائط وقال:  
لا اظن انك من النوع الذي يخدعه لساني.. اليس كذلك يا حلوتي؟ ان الحب  
يجب ان لا يؤخذ بجدية خصوصا لفتاة في مثل عمرك  
اظن ان الحب يجب ان يؤخذ دائما في جدية وفي مختلف الاعمار ما  
تقصده هنا هو ان لا افوت الفرص في بعض النزوات الخفيفة. و اظن انك  
تطرح نفسك شريطا في مثل هذه النزوات.

احسنت القول نعم انا ارى ان الحياة وجدت لنحياها و انا ارغب كثيرا في  
عناقك فانيسا هل ستمنعيني من تحقيق هذه الرغبة خلال الستة اشهر  
المقبلة؟

الا تعرف ان ثمة سلوكا يعرف بالتهذيب؟  
سألت من دون ان يزعجها كلامه الذي لم تعتبره خارج اطار المزاح  
ونزلت عن الحائط لتسير في الباحة معلنة رغبتها في التنزه.  
هل انت خائفة مني؟

سألها من دون ان يتوقع اجابة و رافقها في النزهة محاولا ان يضفي على  
الصباح رونقا فكاهايا و مر بعض الوقت الى ان سمعا صوت الناقوس  
يدعوهما إلى الفطور فتوجها مباشرة الى غرفة الطعام حيث سبقهما  
الاخرون نظرت السيدة ترنر الى ابنتها و بدت متفاجئة بنشاطه فسألت:  
هل كنت مستيقظا منذ فترة طويلة؟

انا استيقظت منذ اكثر من ساعة فانيسا كانت تريني الحديقة و طبعاً انا لا



افوت فرصة كهذه

أي تغيير هو لصالحك

قالت امه و اضافت متوجهة بالكلام لفانيسا:

يا انسة بيدج انك حققت شيئا مهما جدا اليوم في ابني فهو عادة يجد صعوبة في السير من غرفة النوم إلى غرفة الطعام لا تبالغي يا اماه اذا كان الكسل من مساوئي فان المبالغة من شيمك علق جيرارد ضاحكا ثم نظر نحو ابن خاله الذي لم يتفوه بكلمة منذ دخلا الغرفة. وسأله:

ماذا في برنامج اليوم يا برانت؟ هل ستأتي إلى المقلع؟  
ربما بعد الغذاء ساقضي قبل الظهر في البيت اظهر لفانيسيا ما ينتظرها من عمل

قال سيد القصر ثم نظر إلى فانيسا وسألها:

ما رأيك بما شاهدت حتى الآن؟

فوجئت فانيسا بالسؤال تلعثمت وهي تجيب:

كل شيء حلو وجميل

وجدته ممتعضا لابد انه توقع منها عبارات علمية كان يجب ان تجد كلمات مناسبة تقولها ولكنها ارتبكت تبا لهذا الرجل قالت لنفسها ماذا توقع ان اقول؟

غادر جيرارد غرفة الطعام فور انتهاء الفطور واعلن عن ذهابه الى المقلع ولم ينس ان يقول لفانيسا وهي تسير الى جانب رب عملها الجديد.  
سأراك على الغذاء

غرفة المكتب غارقة في الدفء وتطل على الباحة حيث كانت تجلس صباحا وجدت شيئا جديدا في الغرفة آلة كاتبة حديث على المكتب الخشبي الكبير قال برانت:

اظن ان المكان هنا سيكون مناسباً لك اكثر من غرفة المكتبة وعندما نعمل معا تكون كل الملفات في متناول اليد في الوقت الحاضر ارجو ان تستعملي مكتبي ولا تترددي في السؤال عن أي شيء وايمي ستريك كل الأمكنة.  
وباشرا معا بمراجعة المراسلات اولا ثم الملفات مر الوقت سريعا فالاوراق كثيرة مكدسة تحتاج إلى مراجعة بدأت تفهم كيف تدار المؤسسة رأس المال بدأ من تمويل وضعه بارت مالوري الخامس وهناك المدخول الذي يأتي من الجمهور الذي يزور القصر . اما المقلع فيعود إلى مئة سنة إلى الوراء ومما فهمته من المداخل المختلفة وجدت ان رب عملها هو رجل ثري جدا.  
في الحادية عشر استراحا وتناولوا القهوة معا ومن ثم اقترح برانت جولة

سريعة في القصر .

يجب ان تعرفي كيفية الانتقال في القصر بسهولة قبل ان تبدأي بتسجيل التحف في الملفات ساخذك من غرفة إلى غرفة في الترتيب الذي يدخله الزوار عادة سيكون أمامك عمل كثير في التسجيل واعادة التسجيل . في المرحلة الأولى ستحتاجين كتب المراجعة في غرفة المكتبة ولكن مع المعلومات التي تختزن في رأسك أظن انك ستكونين أشطر من الذين سبقوك .

هل بدأت بأعمال التسجيل؟

غرفة الأسلحة فقط لم يكن الوقت كافيا يبدو اني أوثر سلبا على العاملين لدي

الهذا السبب اصررت على توقيع عقد مدته ستة أشهر؟  
كان هذا الحل المنطقي فقد بدأت اتعب من الناس الذين يتخلون عن العمل معي والان انت عالقة مدة ستة أشهر هل تخيفك هذه الفكرة؟  
كلا ، اظن اني قوية بما يكفي لمواجهة التحدي  
صعدا معا السلالم الى المتحف في الطبقة الثانية وجدت تحفا ولوحات لم تر مثلها في حياتها في الغرفة الزرقاء المتفرعة من صالة العرض اشار برانت إلى رسوم في السقف تعود إلى الربع الاول من القرن الثامن عشر وقفت فانيسا في وسط الغرفة تبدي اعجابها بالزينة التي تحيط بالرسوم .  
كم هي رائعة تلك الفترة القديمة التي وضعت فيها هذه الرسوم، الا تتنابك رغبة في ارجاع عقارب الساعة إلى الوراء ومعايشة الماضي من جديد؟  
كلا

اجاب بلهجة حازمة وسار نحو الباب قائلا:

هل نتابع سيرنا؟ ثمة اشياء كثيرة يجب ان تريها بعد استمرت الجولة فترة طويلة وفانيسا تسير من غرفة إلى أخرى وكأنها في حلم كل شي كان يثيرها ولاحظ برانت ان الساعة اقتربت من الواحدة بعد الظهر فقال:

اظن انه من المناسب ان ننزل إلى الطبقة الأرضية قبل ان يرسلوا فرقة تفتيش للبحث عنا

احسدك على بيتك يا برانت

قالت وهما ينزلان السلالم نحو القاعة الكبرى:

انت تملك شعورا بالفخر لا يمكن ان يشعر به أي متعامل بالتحف ان التحف تمر بين ايدينا فلا نملكها الا لفترة قصيرة جدا وكل عملية بيع تأخذ معها جزءا من ذاتنا

انت لم تخلقي لتكوني بائعة تحف فانت لا تملين المزايا الاساسية التي  
تمكنك من النجاح المالي تماما مثل جدك لاتقبلين ان تبيعي تحفة لشخص لا  
يملك الحس الفني نحوها  
اذا ساسعى للحصول على تلك المزايا وقبل ان انتهي من العمل هنا لاني لا  
اعرف طريقة اخرى اكسب فيها عيشي  
سنتكلم عن ذلك عندما يحين الوقت والان فلنذهب لتناول الطعام  
بعد الغذاء ذهب برانت إلى المقلع تاركا فانيسا تنتهي من كدسة المراسلات  
اشتغلت بارادة وتركز ونحو الرابعة ابعدت الآلة الكاتبة من امامها مع  
شعور بالاكتفاء وجدت انها مرتاحة وان لا شئ صعب وتوقعاتها لم تكن  
صائبة حتى برانت كان مختلفا، لم يتعمد اثاره حنقها . فكرت انها ربما  
تسرعت في تكوين انطباع خاطئ عن الرجل.



خاطيء عن الرجل . فقد فعلت ذلك تحت تأثير كلام ابن عمته عنه ،  
وبما ان الود مفقود بين الرجلين ، فان الانطباع لا يكون في مصلحة  
برانت . لذلك عليها ان تبدأ من جديد . ان تحاول فهم الرجل الذي  
بدا لها انه خليط من الامزجة المتضاربة .

استرخت على كرسيها وجالت بنظرها حول الغرفة ، ربما تكتشف  
شيئاً يساعد على حل الغاز رب عملها . هذه الكتب مثلاً . وقفت  
وسارت نحوها . اختارت كتاباً من احد الرفوف . كان ديوان شعر .  
فتحت الصفحة الاولى وقرأت ما كتب بخط اليد ، «الى برانت مع  
حيي . من امك» . وفي الاسفل «ميلاد ١٩٥٦» . كان الامر مفاجئاً  
لها . لم تتصور برانت من الاشخاص الذين يهتمون بالشعر . ومع  
ذلك يبدو الكتاب مستعملاً . رفعت نظرها نحو صورة الام فوق  
المدفأة ، فشعرت ان العينين تسعيان للحوار وترجوان التفهم .  
وجدت تحليلها سخيفاً وفكرت ان عيون صور سلاله مالوري الموزعة  
في راينغز تكاد تلاحقها .

سمعت طرقاتاً على الباب . ودخلت امي الى الغرفة . وبدت غير  
راضية على وجود فانيسا قرب الكتب الخاصة وصورة والدة برانت .  
وعندما تكلمت سألت :

«هل تريدان فنجان الشاي هنا يا آنسة او مع السيد ترنر في غرفة  
المكتبة؟ ان السيد مالوري ابلغني ان ابقى معك مفتاح خزانة الملفات  
الخاصة . اعتذر لاني اناشغلت فنسيت ان اعطيك اياه باكرأ» .  
مدت يدها الى جيبيها وسحبت منه المفتاح وتناولته لفانيسا قائلة .  
«الخزانة هي تلك الموجودة على اليمين في غرفة الاسلحة» .  
تناولت فانيسا المفتاح شاكرة وقالت :

«واظن انه من المفيد ان اتمكن من الحصول على الاوراق التي  
احتاج اليها من دون ازعاجك كل مرة . اظن ان اعمالك كافية» .

فهذا البيت يحتاج الى عمل مكثف لادارته.

وانت على حق. ومع ذلك فان السيد مالوري لا يقسو على العاملين هنا. هؤلاء يظنون انهم يمكنهم ان يقبضوا رواتبهم من دون ان يعملوا، علي ان الاحقهم باستمرار. لم يكن الوضع مماثلاً عندما بدأت العمل هنا، في ذلك الوقت كنا نعرف جيداً ماذا يعني العمل المرهق.

«نعم. ان ظروف العمل تحسنت الآن».

قالت فانيسا من دون ان تلاحظ ان جوابها يزعج امي، الا عندما اجابت:

«وان كلامك هوراي فقط. فبعض العمل لا يضي مطلقاً. لكن ابناء اليوم يريدون كل شيء سهلاً».

هكذا انتهى الحوار وخرجت امي من الغرفة. وفكرت فانيسا انها بدأت تفهم عقلية امي وان عليها التذكير جيداً كلما قررت التحدث معها.

نورا ترنر كانت تعد فنجان الشاي عندما دخلت فانيسا غرفة المكتبة. فبادرتها:

«اهلاً بك. انا سعيدة لانك وافقت على شرب الشاي هنا. فالشاي يجب ان لا يشرب مع العمل».

وقدمت لها فنجاناً وجلسنا تتبادلان اطراف الحديث.

«كيف يسير العمل معك؟ هل تهدين الاشياء معقدة؟».

«ليست معقدة الى الحد الذي توقعته، السيد مالوري شرح كل شيء تقريباً هذا الصباح».

وأخرجت المفتاح الذي اعطتها اياه امي من جيبتها وقالت:

«يجب ان اضعه في مكان امين. لا اظن ان امي ستكون سعيدة ان اضع مفتاح خزانة الملفات الخاصة بعد دقائق من استلامي



«كيف تمكنت من اقناع ابي بالتخلي عن احد ائمن مفاتيحها؟»  
 ولم اسألها ذلك . هي قالت ان السيد مالوري ابلغها ان تعطيني  
 اياه . لم يكن كل سكرتير قبلي يحمل المفتاح؟»  
 «كلا ، لم يقضوا وقتاً طويلاً في كل حال . اظن ان برانت تمكّن من  
 حبسك عبر العقد الموقع بينكما» .  
 ابتسمت فانيسا . ارتاحت لنورا ترنر ولطريقتها غير المعقدة في قول  
 الاشياء .

«اظن اننا مستفق تماماً يا فانيسا» .

ثم سألتها من دون تمهيد :

«اخبريني ، هل تجددين ابي جذاباً؟» .

فكرت فانيسا بان ابناء عائلة مالوري يتشابهون في عدّة اشياء .  
 منها انهم احياناً يتصرفون او يقولون اشياء غير متوقعة . ووجدت  
 فانيسا نفسها تحيب :

«اظن ان اكثر النساء يجدن جيرارد جذاباً» .

قالت وهي لا تدري ماذا تتوقع منها ان تقول .

«صحيح . ولكن هل تصغين نفسك بين تلك الاكثرية؟» .

«لم افكر في الموضوع من قبل» .

«ومنذ متى تحتاج المرأة الى التفكير ان جذبها رجل او لم يجذبها؟»

فهي تشعر بالموضوع منذ اللحظة الاولى التي تلتقيه . ربما ترفض ان

تعترف بذلك ولكنها تعرف ذلك حتماً» .

«حسناً . انا اجد جيرارد جذاباً ورفقته مسلية» .

«نعم . انا ايضاً اظن انه جذاب عندما يقرر ان يجذب احداً من .

وارجو ان لا تستغربي ان قلت لك ان لا اوهام تتابني حول ابي . هو

جذاب فعلاً ولكن النساء عنده للتسلية فقط . البعض يقول انه ربما



نقصته تربية الوالد. ولكن غراهام مات عندما كان جيرارد في الثانية عشرة من عمره. ولكن حتى لو بقي حياً حتى اليوم فلا اظن ان الامر يختلف مع جيرارد، لانه يشبه والده. اقول لك ذلك يا فانيسا لانني اريدك ان تعرفي منذ البداية ان جيرارد ليس شخصاً جاداً. انه يجمع القلوب مثل رؤوس الطرائد. ولا اريده ان يفعل ذلك معك. تساءلت فانيسا في داخلها هل يمكن ان تكون اعطت انطباعاً ان شيئاً مثل هذا يمكن ان يحصل؟ اليست السيدة ترنر قاسية قليلاً على ابنتها؟ فمن غير العدل ربط جيرارد مع صفات والده اللذي مات منذ زمن بعيد. شعرت ببعض التعاطف على الشاب الذي تتحدث عنه والدته بقسوة، والذي يتحملة ابن خاله من اجل خاطر الوالدة. لا غرابة ان جيرارد يشعر بالغرابة داخل عائلته.

الحديث عن جيرارد انتهى، وانتقلت السيدة ترنر الى مواضيع اخرى ولم تعد تأتي على ذكر ابنتها اطلاقاً. في المساء، وفيها فانيسا تغير ثيابها من اجل العشاء، فكرت بزواج السيدة ترنر، غراهام. ماذا فعل ليحلب الملاحظة المرة من زوجته وجعلها تقسو على ابنتها؟ انها لعائلة غريبة. وقررت ان لا تتعاطى الا في الشؤون التي تعنيها، وان لا تدع شيئاً يشغلها عن الوظيفة التي جاءت من اجلها.

على الرغم من توقعات بانيت عن طقس سيء، فان الجو بقي صالحاً خلال الايام التي عقيبت وصول فانيسا الى رالينغز. كانت تتيقظ باكراً وتتزه في الحديقة مدة ساعة قبل موعد الفطور، واكتشفت حديقة جميلة محاطة بسور عال خلف اسطبل الخيول. ويوم السبت التقت بالبستاني لأول مرة. وبدا غير مزعج من الغرباء، ويجب ان يتحدث عن حرفته البائلة وهي الحفر في الخشب. حديثه جعلها تقضي وقتاً طويلاً معه وتتأخر عن موعد الفطور. وعندما

دخلت غرفة الطعام وجدتهم جميعاً هناك. اعتذرت عن التأخير.  
ابتسم برانت وقال:

«يوم السبت يمكنك ان تأخذي وقتك»  
وسألها جيرارد:

«ماذا تعهدين في الحديقة صباح كل يوم؟ هل ثمة جنيات ساحرات؟»

«ان كانت ساحرة تطيل ذقتها وتحمل اسم جايز فانه يكون كذلك. وهذا التفسير الوحيد الذي اعطيه لوجود رجل معمر مثله»  
وعلق برانت على كلامها:

«اذن اكتشفت جايز نابلورا شخصية مميزة اليس كذلك؟»  
«نعم هوراثع. اخبرني انه قطع اطراف بعض النباتات في حديقة بيته ونحت فيها سفينة مملوذة الاشرطة. اظن انها تستحق الرؤية»  
«نعم تستحق ذلك. سأذهب الى القرية بعد الظهر، اذا كنت ترغيبين في رؤية السفينة، سأخذك الى هناك ثم اعيدك في طريق العودة»

شكرته موافقة. ووقف قائلاً:

«سأرى مكتبك الجديد الآن. عندما تنتهين من تناول الفطور ارجو ان تأتي الى غرفة المكتب وتختاري الوضع الملائم»

وسألت السيدة ترنر ايها ماذا سيفعل قبل الظهر فقال:  
«كما افعل بين سبت وأخر. أراجع اوراق العمل المتأخرة. سأجلس في الباحة الخارجية. فائيسا، ان انتهيت سريعاً من برانت، ارجو ان تأتي اليّ في وقت لاحق»

وافقت، ثم تعبت الى غرفة المكتب وجدت برانت هناك، وضع المكتب الجديد في رؤية حادة مع مكتبه حيث يأتي اليها نور النافذة مباشرة، ووافقت على الترتيب وشكرته، وطلب ان يراجع ما

كتبته بالأمس. ثم ابتسم وقال:

«لم أتوقع ان تبدأي بهذه السرعة. كنت أتوقع ان تحتاجي الى اسبوع في العمل الذي قمت به في الأمس. اهنتك».

«وما كتبته يعتبر اولياً. دونت الاشياء التي تتناول القاعة الكبرى.

مثلاً الطاولة التي حضرها توماس شيراتون في العام ١٧٦٠، ماذا تم

قصته الزائر العادي؟ اذا اضفنا اليها انه جعل الطاولة على اسم سيدة

اقترحت الزخرفة، نكون جعلنا للقصة نكهة انسانية والقليل من

العاطفة. اذ عوضاً عن ان يكون الرجل صانع مفروشات عادياً،

يكون انساناً ذا حياة عاطفية خاصة».

«هل ذلك مهم؟».

سال برانت وأجاب نفسه.

«كلا، ليس مهماً لي ولا لك. ربما للزائر العادي».

وتابع قراءة ما كتبت وقارنه مع النماذج القديمة. ودقت الحادية

عشرة وكلاهما منهنك في العمل. وأخيراً قال:

«كفى! انه نهار سبت ونستحق الراحة».

ونظر الى الاوراق المكدمسة امامها وقال:

«يال له من عمل طويل ينتظرك. عليك ان تبدأي من الصفر في كل

غرفة».

«احب ان اشعر اني بدأت عملاً وانجزته».

«ان ما فعلته بالامس انجاز صغير، اكرر تهنتي».

ولاحظ انها تبسم وسألها:

«وما الامر؟».

قالت

«لا شيء، فكرة خطرت لي».

فقال مبتسماً.



«ربما الفكرة التي خطرت لك هي كيف ان رجلا كان ضدّ تشغيل  
امرأة لانه يراها غير متوازنة، يغير رأيه. تعرفين ان لكل قاعلة شواذ.  
وانا محظوظ لاني وقعت على واحدة مثلك». .  
وقبل ان يغادرا المكتب معاً اضافة:  
«المهم ان تثبتي توازنك مع ذاتك!».



## ٤ - أمسية قاحلة

قال لها جيرارد عندما خرجا من غرفة الطعام بعد الظهر:  
وظننت انك ستأتين اليّ في الباحة الخارجية، حتى انني طلبت قهوة  
لشخصين. ماذا حصل؟

ردت فانيسا:

«كنا نشتغل. والقهوة شربتها في غرفة المكتبة مع والدتك  
وبرانت. وفكرت فيك وتساءلت لماذا لم تكن معنا؟»

«ولا بأس. هناك شيء كنت اريد ان اسألك عنه... عن...»

واذ برانت يقطع الحوار قائلاً:

«هل انت جاهزة يا فانيسا، للخروج؟»

اجابت:

«نعم، طبعاً».

نصحها ان ترتدي كتزة صوف لان الطقس بارد في الخارج. ثم تابع الكلام متوجهاً الى ابن عمته عن امور تناول العمل في المقلع. بعد وقت قصير نزلت فانيسا من غرفتها ووجدت ان جيرارد غادر البيت، وبرات ينتظرها في سيارته اللاتسيا. جلست الى جانب برانت في السيارة وانطلقا في قيادة بدت لفانيسا مريحة وناعمة اعطتها الشعور بالحرية والدفء.

يسكن جاييز نايلور في كوخ من القش خارج المألوف في المنطقة. وبدا لفانيسا ان برانت ابلغ الرجل عن الزيارة اذ وجدته ينتظرها وزوجته السبعينية على الباب. وظهر الاثنان وكأنهما ارتدبا اجمل ما لديهما من ثياب.

«سأعود بعد نصف ساعة».

قال برانت بعدما انتهت فانيسا من التعارف مع السيدة نايلور ودخلت البيت المتواضع. السفينة المحفورة في جذوع النباتات تستحق المشاهدة، فكرت فانيسا. انتاج رائع لسنين من الاهتمام والعناية والحب.

فرح جاييز لاهتمام فانيسا وقال:

«ليس العمل شيئاً، اليس كذلك؟ انه يختلف عن اشغال هذه الأيام».

وراح يربها الاشكال المنوعة التي حفرها. ثم عاد الثلاثة الى البيت، واعدت السيدة نايلور الشاي. وعندما رشفته فكرت فانيسا ان الطريقة القديمة في صنع الشاي تبقى الأفضل. وفيها هم يتجادبون الأحاديث العامة سألت السيدة نايلور فانيسا: «كيف تجدين العمل في القصر؟ هل تشعرين بالاعتراب في هذه الانحاء؟».

شعرت فانيسا ان كل ما مستجيب به سينقل بشكل او بآخر الى  
برانت. فأجابت:

«والبنز مكان جميل. سأجد متعة في العمل فيه».

فعلقت المرأة المضيفة:

«صحيح ان والبنز مكان جميل. وبرانت شاب محترم».

وبعد صمت قصير اضافت:

«ليس مثل والده!».

هنا تدخل جابيز.

«ماغبي، حذرتك مراراً من هذا النوع من الكلام، ارجو يا آنسة  
فانيسا ان لا تهتمي بثروة النساء في هذه المنطقة. إن الألسن لا تعرف  
كيف تحفظ حدها».

بعد قليل افتقد جابيز علبة التبغ ليحشي بها غليونه. وغادر الغرفة  
باحثاً عن العلبة في الحديقة. فانتهزت زوجته فرصة غيابه وقالت:

«بارت مالوري لم تكن معاملته طيبة مع احد. كان رجلاً قاسياً».

عامل زوجته في قسوة. يقول البعض انها ماتت نتيجة تناولها جرعات

زائدة من الحبوب. انهم لا يعرفونها جيداً. كانت تعيش من اجل

ابنها. وكان يكتب لها الرسائل من المدرسة الداخلية وتطلعني على

مقاطع منها. كان عائداً الى البيت في عطلة الصيف في اليوم الذي تبع

موتها. انا لا اظن انها تقتل نفسها في اليوم الذي تعرف ان ابنها آت في

اليوم التالي».

وبعد دقيقة صمت اضافت:

«اظن أن من الأفضل عدم التحدث في مثل هذه الأمور».

فقالت فانيسا:

«واوافق معك. فهناك اشياء من الأفضل نسيانها».

وعندما عاد جابيز من الحديقة وفي يده علبة التبغ، كان برانت



ايضاً وصل بالسيارة . ودعت فانيسا مضيفيها وشكرتها على الشاي  
وعلى الجلسة اللطيفة .

في السيارة سألتها برانت:

«هل امضيت وقتاً طيباً؟» .

«جداً . شربنا الشاي اللذيذ . منذ زمن بعيد لم اشرب شاياً بهذه  
النكهة الطيبة» .

«صحيح . ان ماغي اشطر من صنع الشاي . اذكر عندما كنت  
يافعاً ، كنت ازورها لأشرب الشاي وأكل الكعك من صنع يديها .  
كانت تقول اني نحيل جداً واحتاج الى زيادة وزني . وعندما بدأت  
اسمن اعتبرت هي ان الفضل يعود لها» .

فانيسا وجدت صعوبة في تحييل الرجل الممتلئ قربها نحيلاً في  
طقولته . حاولت ان تنسى الكلمات التي سمعتها من ماغي ولكن لم  
تستطع . صدمت لاكتشافها الحقائق عن موت كارولين مالوري .  
وفكرت أن لا عجب ان يكون لموت الام هذا التأثير القاسي على  
الصبي ابن الثانية عشرة سنة . وما عادت تتساءل لماذا صورة بارت  
مالوري غير موجودة بين سلسلة الصور . ولا احد في الينغز كان  
يتفوه باسمه . وكان الكل يرغب في نزع ذكراه من سجلات العائلة .  
وجدت برانت بسلك طريقاً مختلفة عن طريق القصر فسألته:  
«هل نسلك طريقاً جديدة اجهلها الى البيت؟» .

«بل نسلك طريقاً طويلة . يجب ان اجلب احد اعضاء العائلة من  
المصح» .

لاحظ استغرابها فابتسم وقال:

«انه كليي . كسر رجله اثناء غيابي في لندن . وضعته نورا في  
المصح الى ان اصبح قادراً على السير» .

ثم اضاف:



«هل تحمين الكلاب؟».

«أحبهم مثل أي إنسان لا يجب عليه الاهتمام بهم في استمراره».  
امام المصح نزل برانت من السيارة وغاب قليلاً ليعود مع كلب  
ضخم لم ترى فانيسا مثله من قبل. وجدته جميلاً جداً، متناسق  
الجسد والحركة، قوي البنية، يشبه سيده.

فتح برانت الباب الخلفي للسيارة ودعا كلبه للدخول:  
«لا تخافي منه. إنه صديق، واسمه توير».  
وقال للكلب:

«اهدا الآن. توير، اهدا».

اطاع الكلب سيده فوراً. ولم تجد الأمر غريباً. إن صوت معلمها  
الأم، له تأثير على البشر مثل تأثيره على الحيوانات.  
ادار برانت محرك السيارة وقادها في اتجاه جديد:

«أريد أن أريك شيئاً. اذ ربما لن تسنح لك فرصة ثانية لرؤيته في  
طقس صاف».

طيلة الطريق لم يتبادلا الكلام إلا قليلاً. كانت تراقبه بين وقت  
وآخر. وتشعر رويداً رويداً بوجوده القوي إلى جانبها. راحت تحلل  
شخصية الرجل. من الصعب معرفة ماذا يدور في رأسه. وفكرت أن  
لا أحد يستطيع أن يخترق حرمة الا إذا شاء هو. وشعرت في داخلها  
بانذار يحذرها من الرجل.

الطريق بدت طويلة، تمر بين تلال واراخص وعرة وصخور. بعد  
فترة انحرف إلى طريق فرعية وتوقف قبل منحدر وإذا بالمكان يطل  
على واد فسيح لم تر فانيسا أجمل منه من قبل. مع أشعة الشمس  
المنعكسة، ظنت فانيسا أن ما تراه ليس الا سرايا رائعة.  
«إنه وادي الأمل».

قال وهو يراقب ردود فعلها.

ونسمي هذا المكان: «المفاجأة»، لأنه يأتي من دون توقع او تمهيد».

«انه رائع جداً، رائع جداً...».

قالت فانيسا وهي تفتقد الكلمات التي تعبر عن افتتانها بالمنظر. ولو تريتته عند الغروب، عندما تتوزع الخيالات على التلال، وتبدو وكأنها رؤوس من نار، يصبح المكان صالحاً جداً للمحبين». فكرت انه احضرها في وقت يقترب من الغروب. فقالت من دون تركيز،

«ان المحبين لا يحتاجون الى المناظر الجميلة».

وجدته ينظر اليها بعينه الزرقاوين ويقول:

«تتكلمين مع بعض الخيرة. هل سبق أن وقعت في الحب يا فانيسا؟».

وجدت السؤال بسيطاً ولم تفهم لماذا شعرت باحمرار في وجتها. فقالت:

«لا، لم اقع في الحب بعد. لم يكن عندي وقت للطيش».

وفوجئت به يقول:

«لو جريت هذا الشعور لما استعملت كلمة طيش. الحب لا يتم بالوقت او بالمكان. يحضر عندما لا تتوقعينه، ويمكن ان يسبب

المأ بقدر ما يسبب سعادة. يوماً ما ستعرفين ذلك بنفسك».

ثم ادار المحرك قائلاً:

«من الأفضل ان نعود الى البيت. ان تورب بدأ يتعب».

تورب لم يكن وحده متعباً. فانيسا شعرت انها متعبة من كلام برانت ونظراته.

كان وقت الشاي عندما وصلا الى القصر. رائحة الفطير عملاً القاعة الكبرى وتبعث من غرفة المكتبة حيث الباب غير مغلق،

وأصوات نساية تعلق وتضحك. وروح الكلب ينبع وهو يقفز داخل  
غرفة الكتابة وصوت نسائي ضاحك يدعو للهدوء. فاسرع برانت  
خطاه واذ بفتاة شقراء تبتعد عن الكلب وتسرع نحو برانت.  
«موبا!».

صاح برانت بفرح وفتح ذراعيه قائلاً:

«لماذا لم تحبريني انك قادمة؟».

تعلق الاثنان. وسألته الفتاة بفتح:

«هل اشتقت الي؟».

«كنت اشتاق دائماً؟».

قال وهو ينظر في لفحة الى الفتاة الشابة التي بدت لغاتيسا جميلة  
وورقية الخدين. وأضاف:

«تبدن رائعة. حمام الشمس اصفى عليك لوناً جميلاً. وكذلك  
شعرك جميل».

وبعدما خفت اللهفة نقلت موبا عينها الى حيث كانت فانيسا  
واقفة قرب الباب. فقالت من فوق كتف برانت:

«مرحباً، اعتذر إن تأخرت في السلام عليك. ولكنني لم ار الرجل  
منذ ستة اسابيع!».

ضحك برانت وقال:

«الرجل لم يتوقع ان يراها الا بعد اسبوعين من الآن على الأقل».

ثم تولى تعريف الفتاتين:

«موبا هانسن، فانيسا بيدج، مسكربتري».

«مسكربتريك؟».

سألت موبا في نغم وكأنها تستغرب الأمر، ثم تابعت:

«الحياة ملأى بالمفاجآت، انت تحتلقين عن الذين سبقوك. أمل

ان تمكثي اطول منهم هنا. وجود فتاة في مثل عمري في هذا المكان



سيكون مسلماً لنا» .

ونظرت الى برانت قائلة :

«ياك ان تخيف هذه الفتاة او تدعها تهرب» .

ورد ببساطة :

«فانيسا لا تخاف بسهولة . اليس كذلك يا فانيسا؟» .

«أحاول الا اخاف» .

اجابت بصوت بدا لها غير صوتها .

تكلمت نورا ترنر للمرة الاولى منذ دخولها ، فقالت من مقعدها

خلف طاولة الشاي :

«تعالا اشربا الشاي قبل ان يبرد» .

وسأل برانت موبيا بعدما جلس الجميع :

«ما الذي اتى بك باكراً؟ في رسالتك الأخيرة فهمت انك مولعة

بالنمسا» .

«مللت ، شعرت بشوق الى البيت» .

واضافت باسمه :

«اشتقت اليك» .

«كيف حال برنار؟» .

سألت نورا

«لم نره خلال غيابك» .

اجابت موبيا :

«آه ، ابي في صحة جيدة . ولكنه مشغول في العمل . اشترى فرساً

جديدة ، ويريدك يا برانت ان تراها في وقت فراغك» .

ثم قالت لفانيسا :

«ان المنطقة جميلة للمتزهة فوق حصان . اظن انك جربت ذلك

بنفسك» .



«كلا اتا لت راكبة فرس جيدة. حيث سكنت في السنوات  
اللتية لم يكن من مجال لأركب حصاناً».

وقد بعيني مويبا البنفسجيتين تسعاً وتقول:

«آه، يا مسكينة! ولكن لا اظن ان مشكلتك عويصة. برانت  
بيك فرساً اضافية سهلة القيادة. استطيع ان ادلك على المكان  
والساعتك في أي وقت تشائين».

«لا اظن أن يكون عندي وقت لركوب الخيل، ولكن اشكرك  
للتعرض في كل حال يا آنسة هانسن».

«ارجوك اسمي مويبا. آنسة هانسن تجعلني ابدو متخلفة. لا  
تستطيعين ان تعلمي كل الوقت. غداً الأحد. ولا اظن برانت يريدك  
ان تعلمي غداً».

وسألت برانت بدلال:

«هل تريداه؟».

اجاب:

«ربما، بعد موعد الشاي في المساء. حتى ذلك الوقت، النهار هو  
ملكك يا فانيسا. ولا اري شيئاً يمنعك من ركوب الفرس دابس. لن  
تجدي صعوبة معها. انها هادئة جداً».

«ولا تهتمي باللباس».

قالت مويبا من دون ان تجهد فانيسا مجالاً للرد، فتابعت:

«انا واياك تقريباً قياساً واحداً. واملك لباساً اضافياً للخيل  
يتاسك، سأحضره لك غداً بعد الغداء».

علقت نورا هنا:

«انت وبرانت يا مويبا مجنوننا أحصنة! لم اجد يوماً شيئاً يجذبني  
اليها».

وعرضت الشاي مجدداً على الحاضرين، فشكرتها مويبا ووقفت

«يجب ان اذهب» .

ثم بدا وكأنها تذكرت شيئاً فقالت لبرانت :  
«رأيت اليوم برندا رامسدن في القطار من لندن صباحاً . دعنا انا  
وانت للعشاء عندنا هذه الليلة» .

فقال برانت :

«هكذا دعوة آخر لحظة ! انها برندا في كل حال ، وهذه عاداتها» .  
واضاف بعد تفكير :

«ظننت انك تفضلين مكاناً مشيراً اكثر من بيت برندا خصوصاً في  
الليلة الأولى من عودتك» .

ضحكت مويبا وقالت :

«تستطيع ان تفاجئني بمكان مشير في ليلة اخرى . اظن انه من  
الأفضل ان نذهب الى دعوة العشاء» .

وسارت مويبا يرافقتها برانت الى الخارج وكذلك توبر . وبدت  
الغرفة فجأة فارغة . انها فانيسا فنجان الشاي بصمت ووجدت  
نورا تسألها :

«اين ذهبتما خلال بعد الظهر؟» .

«برانت اراني المناظر الخلابة قبل ان يتغير الطقس . اخذني الى  
وادي الأمل» .

ثم وقفت فانيسا وقالت :

«عذراً يا سيده ترونر ، ارغب في الذهاب الى غرفتي . يجب ان  
اكتب رسالة» .

«رسالة واحدة فقط؟ اظنها لصديقك الحميم» .

ابتسمت فانيسا وقالت :

«نيغيل ميسر جداً ان علم انك تقصدينه . انه الرجل الذي

اشترى الدكان وهو صديق قديم لجدي . وعدته ان ابقي على اتصال  
به .

«وماذا ستخبرينه؟ هل الوظيفة مثلما كنت تتوقعين يا فانيسا؟»  
«لم اكن اعرف ماذا اتوقع . لم اكن موظفة من قبل . هنا اجد بعض  
الصعوبة في معرفة كيف اتصرف» .

«تقصدين انك لا تعرفين معنى ان تكوني واحدة من الاسرة . لا  
اظن يا عزيزتي ان الامر صعب . ان تربيتك تساعدك على التصرف .  
اذهي يا ابنتي واكتبي رسالتك . وسأراك فيها بعد . اظن اننا سنكون  
وحدنا على العشاء» .

كانت فانيسا خارج غرفة المكتبة عندما راحت كلمات نوراترن في  
اذنها . اذن جيرارد ايضاً لن يكون في البيت للعشاء . طبعاً ، انها ليلة  
الأحد . وشاب مثل جيرارد لا يمكن ان يمضي عطلة نهاية الاسبوع في  
البيت . تمننت لو كانت معه الآن . وبدت لها الأمسية امامها عملة  
وصحراوية .



## ٥ - مرارة الظلم!

حضرت مويبا في الثانية بعد ظهر اليوم التالي. احضرت معها لباساً اضافياً للخيل، ورافقت فانيسا الى غرفتها للقياس. كان البنطال ضيقاً قليلاً ولكن فانيسا تمكنت من ارتدائه من دون صعوبة. مع الكنزة ذات الياقة العالية المقلوبة، بدت فانيسا وكأنها رياضية عتيقة. وضعت في قدميها زوج احذية قوياً خاصاً بالمشي. فبدت جاهزة للخيل من رأسها الى الحصى قدميها.

استرخت مويبا على الكرسي في غرفة فانيسا وهي ايضاً بدت انيقة في ملابس الخيل. سألت بخفة:

«هل جيرارد في البيت اليوم؟ ام وجوده هنا يوم احد كثير ان نتوقعه منه؟».



تسألت فانيسا في نفسها: هل موريا ايضاً تشترك مع الاخرين في  
عدم الرضى على الشاب؟  
وقالت:

«هو غائب عن البيت منذ بعد ظهر امس. فهمت انه يمضي عادة  
نهاية الاسبوع في المدينة».  
علقت موريا:

«آه، صحيح. انه يقيم في شقة لصديقه في مانشستر. لا يستطيع  
تحمل هذا المكان في نهاية الاسبوع».

وأضافت ضاحكة: «انا اتمعجب كيف لم يطلبك للسهر معه. ان  
جيرارد عادة ليس بطيئاً في مثل هذه الأمور».  
«ربما لم يخطر في باله ان يدعوني».

قالت فانيسا وهي تعقد شريط خذائنها. ووجدت نفسها تسأل في  
تفصيل محاولة ان تبدو لا مبالية:

«منذ متى جيرارد والسيدة ترنر يعيشان في القصر؟».

«منذ ست سنوات. جاءا الى هنا بعد وفاة والد برانت. ان نورا  
طية اليس كذلك؟ اعجب كيف تمكن بارت مالوري من معاملة  
شقيقته تلك المعاملة القاسية. هي شقيقته ومع ذلك لم يسمح لها ان  
تقرب من القصر!».

«لم لا؟».

«القصة كلها سخيفة وتعود الى مشاكل عائلية قديمة. نورا وقعت  
في حب شخص لم توافق عليه العائلة. تخلت عنها والدها عندما  
اصرت على الزواج من غراهام ترنر، طردها من بيته الى الابد. ولم  
يوافق على عودتها حتى عندما تعثر زواجها. وكذلك ابنته، والد  
برانت. وعندما مات بارت مالوري واصبح برانت سيد القصر اصر  
على عمته ان تعود الى بيتها الطبيعي».

ووجدت فانيسا نفسها مأخوذة بالقصة فقالت:

«ولكن غراهام ترنر مات منذ زمن بعيد. أين عاشت نورا مع جيرارد كل المدة قبل العودة الى رالينغز؟».

«كان عند نورا بعض المال من ارث لم يتمكن والدها ان يحرمها منه قانونياً. استفدته كله في شراء بيت في غريندلفورد عند الزواج. ولكن البيت لم يكف زوجها، هو الذي ظن انه تزوج من فتاة تنتمي الى عائلة ثرية. برانت يقول انه كان عاطلاً عن العمل، جميل الشكل ولكن فارغ المحتوى. نورا ربما ظنت انها تستطيع تغيير طباع زوجها مع الوقت».

راحت فانيسا تفكر بنورا ترنر الشابة التي وضعت حبها قبل عائلتها وفقدت كل شيء في مسيل ذلك. ووجدت مويبا تعلق: «برانت يقول ان كل النساء من نوع المتفائلات المستعصيات. يقول انا نحن معشر النساء نظن انه بواسطة الحب نستطيع نقل الجبال. وانا نهدو وقتنا عبثاً في محاولة تغيير ما لا يمكن تغييره. اظن انه على حق».

«بيدو انك حاولت ذلك مع برانت».

«مع برانت؟ ولماذا اريد تغييره؟ احب الرجل كما هو. حتى عندما يكون متسلطاً. منذ طفولتي وانا اراه حاضراً كلما احتجت اليه. وهو كان دائماً الرجل الرائع نفسه!».

«قليل من الرجال هم كاملون مثله».

رددت فانيسا في تعبير غممت لو لم تقله، ووجدت مويبا تنتظر اليها، «انا لم اقل انه كامل. لبرانت سيثاته. ولكل انسان سيثاته».

ثم وقفت وهي تقول:

«من سيثاته غياب الصبر. واطن انه ينتظرنا ويجب ان نسرع. طلب ان نكون حاضرتين عند الثانية تماماً».

ان برانت سيكون معها، فكرت فانيسا، وتبعته مويبا وهي  
تطهر الغرفة.

الاسطبل شيد في شكل يتسع الى اكثر من دزينة احصته مع كل ما  
يتبع من خدمة ونظافة. تحول القسم الاكبر من الاسطبل الى مستودع  
للتباه لا قيمة لها. برانت احتفظ بحصانين، الفرس دايس وحصانه  
لاسيد الضخم فايان. كانا معدين سلفاً في مساحة الاسطبل الى  
جانب فرس مويبا.

كان برانت يتحدث مع شخص لم تره فانيسا من قبل، هو جورج  
العامل في الاسطبل، لما رأهما تقتربان، ابتعد برانت عن محدثه  
برواجهها قائلاً:

«كنت سانتظر خمس دقائق اضافية ثم اصعد الى الغرفة واسحبكما  
من فوق! تباً للنساء عندما يجتمعن».

بدأ لقانيسا مكتمل الرجولة في لباس ركوب الخيل. قال لها:

«تسعين عصبية. هل انت خائفة من دايس؟»

«كلا لست خائفة من دايس. فقط خائفة من السقوط عنها».

«لا يمكن ان تقمي، انها سهلة القيادة مثل كرسي هزاز عتيق».

«ولذا تحفظ بحصان اضافي، ان كان لا احد يركبه».

سألت وهي لا تتوقع من جيرارد او من امه اهتماماً بالخيل.

«لرفقة فايان. حتى الحيوان يشعر بالوحدة».

مسكها من ذراعها ورفعها نحو الفرس وهو يسأل:

«كم مرة ركبت حصاناً؟»

«ربما خمس او ست مرات. الا اذا اعتبرنا ركوب الحمير، في  
مشاور سياحية، جزءاً من ركوب الخيل! اذكر اني كنت خيالة ممتازة  
على حمار».

ضحك الجميع ثم قال برانت:



والتمرين هو اساس هذه الرياضة.

جلست فانيسا على الفرس. وساعدها برانت في تصحيح الرمن. ثم ركب حصاته، وكذلك فعلت مويا. وسار الثلاثة في اتجاه باب الباحة للخروج الى السهل الممتد امامهم. مويا سبقتهما بضعة امتار في محاذة ساقية ماء تصب في البحيرة البعيدة. وبدت هي والحصان في رفقة حميمة. راقبتها فانيسا باعجاب وقالت:

«مويا تقود حصانها بشطارة».

اجابها برانت وهو يراقب مويا ايضاً:

«طبعاً. بدأت ركوب الخيل وهي في الخامسة من عمرها. انها شاطرة جداً».

«هل يمكنها ان تمتطي حصانك فايان؟».

«لم تجرب. ان فايان قوي جداً لامرأة وهو ليس اهلًا للثقة، في اي حال».

ورفع يده ملوحاً لمويا التي توقفت من بعيد والتفتت صوبها، وقال:

«لنسرع قليلاً، اذا لم تستطع دايس من تلبية رغبتك، دعيتها تقودك. انت فقط استريحى وكأنتك تجلسين على كرسي هزاز».

مع مرور الوقت بدأت فانيسا تشعر بسهولة ركوب الفرس. لحقا بمويا. وبدأ السهل ينحدر. اقترحت مويا:

«سأسابقك يا برانت حتى نهاية الخط».

ولم تنتظر جوابه بل قفزت بالحصان تسابق الريح. وكذلك فعل برانت بعدما شجعتته فانيسا على اللحاق بمويا قائلة:

«لا تخف علي. سأكون بأمان مع دايس».

في اسفل المنحدر وجدتها بتجاذبان اطراف الحديث. بدت مويا تروي اشياء اثارت الضحك لدى برانت. رآته يقترب من مويا

وشردها من معصمها، ناظراً إليها، من دون ان تتمكن فانيسا من رؤية تعابير وجهه. تباطأت كي لا تزعجها. وعندما وصلت كان الاثنان مفترقين.

قالت لمويا:

«كنا نفكر... ان نتابع طريقنا حتى البلدة المجاورة. نحتاج نصف ساعة على الحصان. ما رأيك؟»

اجابت فانيسا:

«ان المشوار بعيد جداً بالنسبة الي. واظن اني اكتفيت من الفرس اليوم. وبدأت اشعر بدوخة. افضل العودة الى البيت.»

وافق برانت

«حسناً، سنعود الى البيت كلنا.»

ولكن فانيسا لم تشأ المساد متعة رفيقيها، فقالت:

«ارجوك لا. استطيع ان اتدبر امر العودة. كنت على حق بالنسبة الى دايس. انها سهلة القيادة.»

تردد قليلاً ثم قال:

«حسناً، لا تقلقي ان كنت لم تتمكني من المكوث مدة اطول على الحصان في اليوم الأول. مع الوقت ستعتادين الأمر ويصبح سهلاً.»

ثم قال لمويا:

«ولتذهب الى القرية وممر على المقهى الذي لم نزره معاً منذ زمن

بعيد.»

وعادت فانيسا وحدها تاركة دايس تجرد طريقها. وعندما سلمت

الفرس في الاسطبل وسارت نحو البيت، شعرت انها حزينة. فكرت

بحمام دافئ وتغيير ثيابها. واذ بسيارة مسرعة تقبل نحوها. وجيرارد

يطل برأسه مبتسماً. اوقف سيارته الحمراء ونزل يسألها:

«هل ذلك الرجل ادخلك ايضاً في عالم الاحصنة؟»

ونظر صوب الاسطبل متفقداً برانت:

«ذهب الى القرية المجاورة مع موباء».

«قالت وسط استغراب جيرارد».

«اذاً عادت الأميرة! وعادت الايام السعيدة!».

ثم سألتها:

«اين انت ذاهبة الآن؟».

«الى البيت اخلع هذه الثياب عتي: هل تأتي؟».

«ولأساعدك في خلع الملابس؟».

قال مازحاً ثم اضاف

«ولا اظن ابن خالي يوافق على هذا التصرف».

ثم قال جاداً:

«ان الساعة ما تزال الثالثة بعد الظهر. تعالي معي في جولة في

السيارة».

ادعت انها تفكر في العرض ثم وافقت وصعدت الى السيارة.

سألها وهو يدير المحرك:

«اين تريدان الذهاب؟».

«الى اي مكان تختاره. انت تعرف المنطقة هنا. وأي مكان يمكن

ان اتعرف اليه».

قاد السيارة في طريق معاكسة لتلك التي ذهبت فيها بالأمس مع

برانت. فكرت: هل بالأمس حقاً كانت في رفقة برانت؟ تبدو لها

النزهة وكأنها حصلت قبل وقت طويل.

كان يقود السيارة في سرعة طائشة. ومع ذلك شعرت فانيسا انه

اطلقها من سجن ذاتها. طارت غصلات شعرها، ووجدت انها في

حاجة الى جنون شاب مثل جيرارد. ومع انه بدا يسعى الى اظهار

شطارته في قيادة السيارة الا انه كان قادراً على التحكم بها.



مر بعض الوقت وهما في السيارة يخترقان تلاً وسهولاً في طريق  
يلوان لا نهاية لها. واخيراً اختار جيرارد طريقاً فرعية تطل على واد  
فسح اوقف السيارة على جانب الطريق، واشعل سيكارتين له  
ولفاتيها وقال:

«امس انتظرتك طويلاً. كنت ارغب في دعوتك الى السهر معي  
في المدينة. ولكن لم اتمكن من التحدث معك خلال النهار. اين  
اخلك برانت بعد الظهر؟».

«ذهبنا لجلب توبر».

«هل انضم الكلب الى العائلة ايضاً؟».

«وراح ينفث الدخان ويقول:

«اذن اكتمل عقد العائلة».

ثم سأها:

«ما رأيك بمجوا؟».

«انها فتاة ناعمة جداً. هي التي اقترحت ركوب الاحصنة اليوم،

ولكنني لم استطع بمجارة حماسها».

«ومن يستطيع؟ هي وبرانت يركبان الخيل كل نهاية اسبوع منذ

زمن بعيد. كلاهما مفرم بالخيل».

«كم عمر مويبا؟».

«عشرون سنة. احياناً اظن انها اصغر من ذلك بكثير انها فتاة

خلقت وملعقة الذهب في فمها. اي شيء تريده تجده على الاطلاق.

لم تفكر يوماً ان تفعل اي شيء غير اختيار ملابسها او تصفيف

شعرها. اظن انه من المفيد ان تعمل يوماً كاملاً من الاشغال التي

تجبر على القيام بها نحن. ان هذه الفتاة تحتاج للنضوج».

زوجة لبرانت لن تحتاج الى العمل، فكرت فانيسا انه زوج

مطلب. والمرأة التي سيتزوجها ستكون معه في دوام كامل. ولكن

هل موبيا قادرة على العطاء؟ تساءلت وهي تشك في الأمر. ومع ذلك، عاطفة موبيا نحو برانت لا شك فيها، خصوصاً بعد حديثهما معاً في الصباح. ولكن أين بلغنا في العلاقة؟ إن جيرارد كان مصيباً عندما قال إن موبيا تحتاج إلى نضج. بالطبع برانت يعرف هذا الواقع أيضاً.

قطع جيرارد شريط الكارها قائلاً:

«عدت هذا المساء لسبب واحد. أمس لم أتمكن من دعوتك للسهرة. هل تذهين هذه الليلة؟ إن أحد أصدقائي يقيم حفلة راقصة. أظن أنه يفيدك إن تكوني بعيدة عن رالينغز بعض الوقت.»  
«أحب ذلك، ولكن... يجب إن أسأل برانت أولاً. فقد قال إن لدينا بعض العمل بعد موعد الشاي. ولا أعرف إذا كان العمل يستمر إلى ما بعد العشاء.»

«ماذا؟ حتى يوم الأحد؟ قولي له أنك لن تعملي يوم الأحد.»  
«لا أستطيع. إن الموضوع متفق عليه في العقد. في كل حال أنا لا أظن أنه يرغب في العمل خلال الليل، ولكن سؤاله ضروري من زاوية اللياقة.»

«ارجو إن لا تخبريه إن سنذهب. إنه لا يوافق على صحبتي مع بوب فارو.»

«هل لديه أسبابه الموجبة؟»

«إن أي شخص أصاحه يجب إن يلائم مستوى ابن خالي العظيم. أظن إن يوماً ما سيأتي وسيواجه صدمة حياته. وكل ما أمله إن أكون حاضراً كي أشهد النهاية.»

«ولماذا لا تثبت شخصيتك أمامه يا جيرارد؟ لماذا لا تعبر عن رغباتك وتؤكد موافقتك؟ ربما إذا فعلت تصبح علاقتكما أفضل مما هي عليه الآن.»

«لاني جيان يا عزيزتي. ولاني عندما اخوض وبرانت معركة كلامية فإنه الأقوى على كيل الشياطين من دون جهد يذكر».  
«لماذا تعمل معه؟ لا بد ان ثمة مجالات عمل اخرى؟»  
«طبعاً تستطيع ان تعمل في مصنع حديد مثلاً او مساعداً في دكان. ولكن لسوء الحظ امي تضع يدها على اموالنا. ونظن ان برانت هو الاجدر في ادارتها. هي تدعمني فقط ان كنت في شراكة مع برانت».

صمت جيرارد قليلاً وبدأ متضايقاً، ثم قال بمرارة:  
«يا الهي كم اكرهه! ان وجودي معه طيلة الاسبوع يشبه وجودي في سجن!».

«ماذا كنت تفعل يا جيرارد لو كنت تملك حرية التصرف؟»  
«الأمر سهل جداً. كنت اصبح سائق سباق».

«هل تعني انك تعمل سائقاً لدى إحدى شركات سيارات السباق؟»

«كلا، بل اصنع سياراتي الخاصة. انني رسمتها على الورق مع كامل التفاصيل الميكانيكية. نحتاج فقط الى تنفيذ. بعدها انا متأكد انها ستفوز في اي سباق».

«ان المشروع مكلف جداً اليس كذلك؟»

«اجل ولكنني احتطت للأمر. اشتري اولاً مرآباً لتصليح السيارات. فانا اهتم في كل شيء له علاقة بالسيارات، ثم امضي في بناء سياراتي خلال سنة من اوقات الفراغ. ثم اقتحم بها اي سباق وتبدأ ايام التحدي الحقيقية. ولكن ثمة مشكلة صغيرة، المشكلة التقليدية، المال. حاولت الحصول على قرض من برانت ولكنه رفض. قال ان المشروع في رأسي سينتهي الى ان اعمل العمل في الرأب وأهرو بسيارتي وينتهي المشروع الى افلاسي».



شعرت فانيسا انها تلوم برانت. جيرارد كان يتحدث في جد وهو يعرض مشروعه. ربما هذا هو مجاله، عمل ملموس يؤمن به. الخطة كلها لا تبدو خيالية، بل واقعية وممكنة.

نظرت الى ساعتها وصرخت:

«جيرارد انها الرابعة والنصف. الآخرون لا بد ينتظروننا». «ليس مهماً امرهم. اتوقع ان يكونوا تركوا لنا بعض الشاي». «ليس هذا ما قصدت. قلت لك ان برانت يريدني ان اعمل بعد موعد الشاي، ابي الآن. ارجوك لنعد الى البيت، وبسرعة». تجاوباً مع رغباتها انطلق جيرارد بالسيارة في اقصى سرعة. ونحو الخامسة وعشر دقائق دخل الاثنان غرفة المكتبة. برانت كان مستنداً الى النافذة مغطياً بكتفيه العريضين اشعة الشمس الغاربة، سأل: «ابن كنتما؟».

اجاب جيرارد:

«انا المسؤول عن التأخير. اقنعت فانيسا لثاني معي في جولة في السيارة ثم نسينا الوقت. ارجو ان لا تظن السوء».

ولمح موباً تجلس الى جانب امه فابتسم وقال:

«فانيسا اخبرتني انك عدت. الم يقنعك النمساويون بالبقاء؟».

ولم ينتظر الجواب بل سأل ان كان في الابريق بعض الشاي له ولفانيسا. واجابته امه:

«سيحضر الخدم ابريقاً اضافياً».

لاحظت فانيسا نظرات برانت الباردة. اعتذرت عن التأخير.

فقال:

«لا بأس. انا انتظرك في المكتب».

وخرج من الغرفة. وتبعته فانيسا. شعرت انها في حضوره مثل

تلميذة ارتكبت سلوكاً سيئاً وتستعد لسماع التأييب من المدير.

«هل نسيت أننا كنا سنعمل بعد الظهر؟».

«كلا، لم انس. تأخرت قليلاً. كنت وجيرارد نتحدث و...».

«ارجوك احتفظي بالتفاصيل. استطيع ان اترك لمخيلتي تصور ماذا حدث؟ انا اعرف ابن عمتي جيداً. كنت اظنك اكثر نضجاً من الانجراف وراء كلمات معسولة من شاب متهور، لا سيما اني سمعتك صبيحة اليوم الاول من وجودك هنا تقولين له ان ثمة سلوكاً يعرف بالتهذيب. واعجبت بكلماتك. عندها ظننت انك فهمت جيرارد على حقيقته في نظره للمرأة بأنها جبل ينبغي تسلقه ليتصراً!».

شعرت انه يسيء اليها ويترجم ظنونه وكأنها وقائع. اشتعلت غيظاً ولكنها كتمت مشاعرها وقالت:

«اعتذر ان تأخرت نصف ساعة. سأعوض عن ذلك في أي وقت آخر».

«التأخير ليس ما ابحنه معك. أنت تعرفين ذلك. انا اخترتك للعمل عكس قناعتي في توظيف المرأة لأنني ظننت ان الاهتمام والمعرفة عندك سيعطلان اي هوجاني. حتى اليوم كنت مقتنعاً تماماً بحسن اختياري. ولكني الآن لم اعد متأكداً. هل خطر ببالك ان لا احد سيعرف ابن انت اومع من؟ اريدك ان تعرفي ان اي حياة خاصة لك تأتي بعد طلباتي الوظيفية. هذا كل شيء الآن».

قال كل ما اراد قوله ولم يترك لها مجالاً للرد. لم تناقشه بل سألت:

«ماذا عن العمل الذي اردت ان تقوم به بعد الظهر؟».

«لا اظن انه من المفيد ان نبدأ الآن. الساعة تجاوزت الخامسة والنصف».

شعرت انه يبالي في انزعاجه. اذ امامها اكثر من ساعتين حتى موعد العشاء. وجدت نفسها مطعونة في كبريائها ومع ذلك لم تتردد



في القول:

«اذن انت لا تمنع ان ذهبت للسهرة هذا المساء. جيرارد سألتني ان اسهر معك».

«ابن؟»

«حفلة عند صديق».

«من هو هذا الصديق».

شعرت ان اسئلته تنال عليها على الرغم من ان حياتها الخاصة خارج البيت لا يجوز ان يتدخل فيها. ومع ذلك اجابت:

«بوب فارو».

«انت لن تذهبي».

قالها بهدوء جعلها تظن انه يمزح. وعندما وجدته جاداً قالت:

«لا تستطيع ان تمنعني».

«طبعاً تستطيع. انا اريدك هنا بين التاسعة والعاشر من اجل العمل».

«لماذا؟»

«لتعوضي الوقت الضائع الذي هدرته مع ابن عمي الطائش».

ثم اضاف:

«ان العقد بيننا واضح، الا اذا كنت تعتبرينه مجرد ورقة».

«كلا، ان العقد واضح تماماً. وهو بالنسبة الي ليس مجرد ورقة. ولكنك تبدو ظالماً».

فكرت ان تقول له انه يسيء الظن بها. وان تشرح له بصدق كل ما حدث بينها وبين جيرارد بعد الظهر وكذلك عن السهرة التي لم يكن متفقاً عليها سلفاً، ولكنها لم تشرح بل وجدت نفسها تسأله:

«عندي فضول ان اعرف لماذا تعترض على صديق جيرارد؟».

«اعتترض لسبب بسيط، ولكنني لا استطيع التعبير عنه في شكل لا



في القول:

«اذن انت لا تمنع ان ذهبت للسهرة هذا المساء. جيرارد سألتني ان اسهر معك».

«ابن؟».

«حفلة عند صديق».

«من هو هذا الصديق».

شعرت ان اسئلته تنال عليها على الرغم من ان حياتها الخاصة خارج البيت لا يجوز ان يتدخل فيها. ومع ذلك اجابت:

«بوب فارو».

«انت لن تذهبي».

قالها بهدوء جعلها تظن انه يمزح. وعندما وجدته جاداً قالت:

«لا تستطيع ان تمنعني».

«طبعاً تستطيع. انا اريدك هنا بين التاسعة والعاشر من اجل العمل».

«لماذا؟».

«لتعوضي الوقت الضائع الذي هدرته مع ابن عمي الطائش».

ثم اضاف:

«ان العقد بيننا واضح، الا اذا كنت تعتبرينه مجرد ورقة».

«كلا، ان العقد واضح تماماً. وهو بالنسبة الي ليس مجرد ورقة. ولكنك تبدو ظالماً».

فكرت ان تقول له انه يسيء الظن بها. وان تشرح له بصدق كل ما حدث بينها وبين جيرارد بعد الظهر وكذلك عن السهرة التي لم يكن متفقاً عليها سلفاً، ولكنها لم تشرح بل وجدت نفسها تسأله:

«عندي فضول ان اعرف لماذا تعترض على صديق جيرارد؟».

«اعتترض لسبب بسيط، ولكنني لا استطيع التعبير عنه في شكل لا

يؤذي اذنيك. ان بوب فارو وسائر شلته ليسوا من الناس الذين  
اعتدت مرافقتهم.

«ولكنك لا تعرف اي نوع من الناس اعتدت مرافقتهم».  
قالت ذلك وغادرت الغرفة من دون ان تسنح له فرصة للرد.  
كان جيرارد يتنظر في القاعة الكبرى، مستنداً الى حائط ينفث  
سيكارة، من دون ان يبالي بضرر الدخان على اللوحات الالثرية.  
وعندما رآها اقترب منها وسأل:  
«ماذا؟».

«اعتذر لا استطيع الذهاب معك».  
وتبأ له!.

قال مغتاضاً ورمى عقب السيكارة على الارض وأطفأها تحت  
حذائه. ثم قال:

«آسف لانك لن تستطيعي المجيء. ارجو ان تتمكني في مرة  
مقبلة».  
فور انتهاء العشاء شعرت فانيسا ان الساعات المقبلة لن تكون  
سهلة. نورا قالت لها وهما تشربان القهوة:

«ان كان يوجد بين الرجال شيء مشترك فهو التجهم والعبوس  
عندما يضايقهم شيء بسيط. ومحاولة التخفيف عنهم تجعلهم  
اسوأ».

لم ترغب فانيسا اطلاقاً في التخفيف عنه. ان ملاحظاته القاسية  
كانت كافية لتجرحها. كانت تراقب يديه تقلابان الاوراق التي  
راجعاها معاً في اليوم الثالث ونحيب على اسئلته في عبارات سريعة  
ومقتضبة. وبعد عشر دقائق ما عاد الجوع عملاً. فوضع الاوراق على  
المكتب امامه ونظر اليها قائلاً:

«ان جو التوتر لا ينفع. كنت غاضباً بعد الظهر وربما تفوهت

بكلمات اكثر مما يجب. ارجو ان تكوني متفهمة وتتوقفي عن العيوس».

«انا لست عابسة».

قالت بغضب وما لبثت ان لاحظته يبسم فابتسمت.

«الآن انت افضل. لنبدأ مجدداً بصفاء».

اختياره للكلمات من اجل ارضائها اراحها. شعرت انه كاد ان

يعتذر ولكنه لم يفعل. تناول علبة سكاثر وقربها منها قائلاً:

«دخني عليها تنجلي».

ثم قرب ولاعته ليشعل سيكارتها فلاحظت يديه القويتين والقليل

من الشعيرات من كمي القميص وكذلك زرين ذهبيين ربما من عصر

النهضة. كم هو غريب هذا الرجل امامها، فكرت فانيسا، وهو

ينفث دخان سيكارتته. يبدو قاسياً كالحديد ومع ذلك يجمع ذوقاً وفناً

رفيعين.

عادت تتحدث عن العمل بحماس. اقترحت ان يطلق على

الغرفة الصينية اسم كونفوشيوس وقالت:

«لا اظن ان احداً لم يسمع بهذا الاسم، ولا يعرف شيئاً من

اقواله».

«تقصدين ادانته لممارسة دفن النساء والخدم احياء مع سادتهم

الرجال».

ابتسمت فانيسا لانه فهم عليها بسرعة. وقالت:

«انه اقترح دفن الأواني والخزف عوضاً عن الاحياء. وعبر

كونفوشيوس وصلتنا عادات المعيشة في تلك الفترة من الصين

القديمة. دفنوا مختلف اشكال الأواني والخزف التي تستعمل في البيوت

وهي بالغة الذوق في الزخرفة. وانت يا برانت عندك مجموعة مهمة

جدا منها في الغرفة الصينية».



«تبدین اهتماماً شديداً في الأعمال الصينية. انا اعرف مجموعة  
على بعد خمسة اميال من هنا اهم بكثير من المجموعة التي عندي. هل  
تودين رؤيتها في يوم ما؟»  
«اتمنى ذلك. ارجو ان تعطيني العنوان وانا اذهب في اقرب  
فرصة».

«يجب ان ترافقيني ان رغبت في الدخول. فالمجموعة ليست  
مفتوحة للجمهور. ولكن جوردن بانكس لا يمانع في استقبال زوار  
طارتين شرط ان يأتوا مع شخص يعرفه. لأن المجموعة لا تقدر  
بشئ. وهو لا يتحمل حصول اي حادث لها بسببه اشخاص لا  
يعرفون كيف يسكن القطع الصينية الهشة. منذه يوم الاربعاء  
بعد الغداء. العمل في المقلع لا يكون متعباً. واظن جيرارد يمكن ان  
يتولاه وحده».

شكرته على العرض. فقال:

«انا في كل حال احلوك من صراحة جوردن. وانصحك ان  
وجدت معلوماته تفوق معلوماتك ان تلزمي الصمت وتستمعي، لأنه  
يكره الجدل».

## ٦- قراءة في كف القلب

الاثنين والثلاثاء مرًا بهدوء. وجاء يوم الأربعاء. وفيها كانت  
فانيسا تقوم بتزيتها الصباحية في الحديقة فكرت انه بالكاد مرّ اسبوع  
على وجودها في راينغز. ومع ذلك تشعر انها منذ زمن بعيد في القصر  
الجميل والحدايق الغناء.  
وانظري حتى تثلج هنا.  
قال لها جيرارد عندما عبرت له عن شعورها تجاه المكان الذي  
يمثته.

وتشعرين وكأنك معزولة عن العالم. لا يريد يصل بانتظام.  
والسيارات تحتاج ان تحفر الطريق امامها لأن الجرافات بطيئة في  
الوصول. والقصر كله يتحول الى صندوق كبير مثلج. أنا اتنازل لك

عن مكاني هنا، اذ افضل مكاناً عصرياً يلائم الناس المتمدنين».   
«تعني أنك تحب البيت - العلبة في شفق المدينة؟»   
«لا بأس، لكل منا ذوقه».

«في كل حال أنا أوافق معك على نقطة واحدة وهي ان يكون   
عندك بيتك الخاص يا جيرارد».   
«هل افهم من كلامك انك تطلين يدي؟ أنت اصبحت فتاة تعبر   
عن رغباتها مباشرة».

قال مازحاً ثم نظر الى ساعته:

«سأتأخر ان لم أتحرك الآن. لا بد ان برانت سبقتي. أرجو ان   
تخبري والدتي بأنني لن اكون حاضراً على العشاء الليلة. نسيت ان   
اخبرها ذلك خلال الفطور».

لوح لها بيده وغادر المكان. ودخلت فانيسا غرفة المكتب لتجد   
رزمة البريد الكبيرة في انتظارها. جلست الى مكتبها وراحت تفتح   
رسائل العمل وتضع رسائل برانت الشخصية على مكتبه. وجدت   
ثلاث رسائل لنورا فحملتها اليها في غرفة المكتبة.

كانت نورا تجلس في مقعدها المعتاد قرب المدفأة، مشغولة في   
وضع لائحة المدعوين والمدعوات الى حفلة عشاء تنظمها في القصر   
الاسبوع المقبل. تناولت الرسائل من فانيسا شاكرة وقالت:   
«واظن أنك وبرانت ستخرجان اليوم بعد الظهر. مفيد جداً ان

تغيري اجواء العمل. الى أين انتما ذاهبان؟».

«برانت سيأخذني لارى مجموعة التحف لدى بانكس».

«كان يجب ان احزر فان رجال الأعمال مثلكم لا يخرجون الا في   
مشاور عمل. هل تحلمين بالتحف يا فانيسا؟ ليس من الطبيعي لفتاة   
مثلك وفي عمرك ان تنغمس في العمل كما تفعلين».

«نيفيل كان يقول لي انه سيأتي يوم تنشت فيه أفكارني فلا استطع



فعل ما أقوم به اليوم. لذلك أنا استفيد من كل فرصة قبل أن يأتي  
اليوم الذي تشتت فيه افكاري فلا أستطيع التمتع بالتحف.  
وماذا فهمت من كلامه عن تشتت الأفكار؟ يا عزيزتي ألا  
تفكرين أبداً بالأشياء التي تفكر فيها كل فتاة مثل ان تكوني زوجة  
وأماً؟

وأحياناً أفكر في الموضوع. ولكن امامي وقت طويل لهذه  
الأمور.

عادت فانيسا الى مكتبها تتابع العمل. ولكنها لم تتمكن من  
التركيز. وجدت انها تستعمل المحاة مراراً لأخطاء ترتيبها.  
فتوقفت عن العمل وجالت بنظرها عبر النافذة تحاول وضع ترتيب  
لأفكارها المتضاربة.

عاد برانت الى القصر من المقلع نحو الظهر. غير ثيابه الرسمية  
وارتدى ما اعتبره مريحاً أكثر. وبعد الغداء كانت فانيسا الى جانب  
برانت في السيارة. في الطريق قال:  
وان الطقس في مثل هذه الأيام لا يكون مشمساً عادة. ويجب ان  
نستفيد منه، لأن بينيت يتوقع تغيراً قريباً في الطقس. ولا اظن انه  
يخطئ. ان الرجل ظريف.

ولهذا السبب نحفظ به في رالينغز؟

وبينيت يعمل مع آل مالوري من قبل ان أولد. انه أقدم عامل في  
القصر. أقدم من امي. ورالينغز بيته وسيكون كذلك حتى آخر لحظة  
من حياته. اللانسانية ليست من طبعي كما يمكن ان تظني يا  
آنسة!

وأنا لا اظن ذلك أبداً.

قالت وهي تشعر انها بدأت مشوارها بداية سيئة وانها توقعت  
معاملة افضل. وأصاقت:

وليس الآن في كل حال.

أضحكته ملاحظتها. وشعرت بارتياح بعد ارتباك. وخيم المرح  
عليهما حتى وصلا الى منزل جوردن بانكس. صاحب البيت نفسه  
فتح لها الباب. بدا في منتصف الخمسين من العمر. نحيل الجسم  
يضع نظارات سميكة على أرنبة انفه الطويل، طابع سلالة عريقة.  
قدم برانت رفيقته الى جوردن بانكس الذي رحب بهما ببرود  
وقادهما الى قاعة خلفية حيث التحف. شعرت ان الرجل من جامعي  
التحف الذين لا يتمتعون باستعمال تحفهم. لا بد انه يأكل ويشرب  
بالأواني الزجاجية البسيطة فلا يقامر باستعمال القطع الصينية الغالية  
التي يملكها. وفكرت أن الوضع في رالينغز يختلف تماماً، اذ ليس من  
أشياء لا يجوز لمسها. أواني الطعام من التحف التي تعود الى أكثر من  
مئة سنة الى الوراء، ومفروشات غرف الاستعمال لا تقل أهمية عن  
تلك التي تعرض للجمهور. ولا شعورياً وجدت انها تجري مقارنة  
بين الرجلين أمامها.

لاحظت في القاعة ثلاث خزانات صينية، لا بد انها من عصر نانغ،  
فكرت فانيسا، في الأولى، حصان مع فارسه في وضع متراجع، في  
الثانية حصان من دون فارس متأهب وينقث لها. وفي الثالثة فتاة  
ترقص. بدت القطع الثلاث بالغة الاتقان والروعة.

«من عصر نانغ بين القرنين السابع والعاشر».

قال جوردن في نبرة مهتية جافة:

«الحصانان أخذاً من قبر واحد. والفتاة من قبر مختلف في وقت

متأخر عن الأول».

وتحرك نحو خزانة أخرى من دون ان يتظر رد فعل زالريه. دلها

على اناء وقال:

«اعتبر هذا الاناء تحفة مجموعاتي. اتساءل ان كنت تعرفين الى اي



عصر يتسمي يا آنسة بيدج؟

درست فانيسا القطعة من خلف الزجاج وراحت تدقق في الخطوط المتوازية والألوان الخاملة. وأجابت من دون عناء:   
 «وانه عصر سانغ، بين العام ٩٦٠ و١٢٧٩، اذ ان الخزف في تلك الفترة وصل الى مستوى الكمال».

ابتسم برانت. وبدا الاهتمام في عيني صاحب البيت الذي قال:   
 «تبدين مطلعة على تاريخ الصين. هل غصت بعيداً في دراسة تحف الشرق الأقصى؟»

والى البعد الذي كان يسمح به وقتي. أمامي الكثير للتعلم.   
 «كلنا نحتاج الكثير للتعلم. ولكن الفتوة في مصلحتك يا عزيزتي. تعالي. اريد ان اعرف كمية معرفتك للاشغال الصينية. وجدته يغير تصرفه من البرود الى الاهتمام. وخلال ساعة غيرت فانيسا رأيها بالرجل ووجدته مثيراً. فتح لها الخزانين وسمح لها بلمس أي قطعة تردها، مستمعاً الى أي شيء تقوله باهتمام واحترام، صبره في الاجابة على اسئلتها المتعددة فاجأ برانت. الأخير لم يتحدث الا قليلا. وكانت فانيسا تلاحظ نظراته عليها وهي تنطلق في الحديث. وشعرت لأول مرة انها لا تنزعج من هذه النظرات.

المجموعة كانت رائعة. سمعت بها فانيسا من قبل ولكنها لم تتوقع ان تسمح لها الظروف برؤيتها. فيها قطع من كل عصر تقريبا من تاريخ الصين. الكثير منها مزين بالرسم التقليدي للثنتين وطائر الفينيق ومثل الامبراطور والامباطورة.   
 بعدما انتهوا من الجولة في القاعة. سحب جوردن كويين من احد الرفوف وقدمها لزائريه وهو يقول:

«الأكواب نفيسة انها من عصر مينغ».   
 دقت فانيسا فيها لتدرس تفاصيل العمل اليدوي. في الوهلة

الاولى بدا الكويان وكأنها نسخة طبق الأصل من الخزف الابيض وعليها رسوم لثنتين احمرين امواج البحر الأزرق. ولكن بعد التدقيق لاحظت القليل من الفوارق. احد الكويين يميل لونه الابيض الى الأزرق، والنسيج يكاد يختلف. فقالت معجبة باكتشافها:   
 «هذه نسخة يابانية».

ابتسم جوردن وقال:

«نعم، هي كذلك. اليابان كانوا اذكيا ولكنهم كانوا يفتقدون الى الكمال الموجود في الأشغال الصينية».

وهنا ربت برانت على كنف فانيسا مهتأ وقالتلا:

«اني لم ألاحظ الفرق في المرة الاولى التي أراني فيها القطعتين. أنت ذكية جداً يا فانيسا».

وسألها جوردن:

«كم سنة اشتغلت في التحف؟»

اجابت:

«الثنا عشرة سنة».

ارتفع حاجبا جوردن في تعجب ظاهر وقال:

«اذن كنت طفلة معجزة. لا بد انك تعلمت على يد استاذ استثنائي».

وعندما ودعها على الباب قال لها:

«تعالي مرة ثانية كلما رغبت في المجيء. واذا احتجت الى عمل في اي يوم من الأيام لرجو ان تبلغيني الأمر».

داخل السيارة قال برانت:

«أثرت اعجاب الرجل. قليلون جداً يحظون بدعوة لزيارة ثانية. ومعدودون يحظون بدعوة في اي وقت يرغبون، مثلك».

وبعد قليل سألمها:



«هل أنت نادمة لأنك لست قادرة على قبول عرض العمل معه؟»

هزت رأسها بالنفي وقالت:

«كلا، ابدأ. المجموعة رائعة. وجوردن بانكس رجل استثنائي. ولكنني لست راغبة في التخصص في مجال واحد من مجالات التحف المتعددة.»

ابتسم برانت وقال:

«هذا يبدو مناسباً جداً. لأنني لا أرغب إطلاقاً في تحريرك من الاتفاق بيننا.»  
وسألته:

«هل يعيش السيد بانكس وحده؟»

«عدا عن مديرة البيت، نعم هو يعيش وحده. لا يشعر بحاجة الى رفيقة. مجموعته، والاضافة عليها، اهتمامه الوحيد في الحياة.»  
«ولكن هناك أشياء مهمة في الحياة غير التحف.»  
قالت فانيسا وهي تفكر في كلام نورا في الصباح. واذ به يفاجئها بالقول:

«اذن انت تدركين ذلك؟ كنت بدأت اتساءل.»

وبعد قليل اقترح:

«لنجعل خروجنا اليوم مليء بغير زيارة جوردن. هل سمعت بمغاور بلوجون؟»

«طبعاً سمعت. هل هي قريبة؟»

«ميلين فقط. اظن اننا نستطيع زيارة واحدة منها. سنسرين بالزيارة.»

اخترت برانت واحدة من مغاور ثلاث اعتبرها الأكثر اثاراً وأهمية. وبدأت انهما وحدهما مهتمان بالزيارة اذ لا احد غيرهما كان موجوداً.

وعليها الانتظار ليحضر اناس غيرهما فيأخذهم الدليل في جولة. ولما لم يحضر احد، اتفق برانت والدليل ان يأخذها في جولة خاصة على حسابها. وهكذا كان.

داخل المغارة كان الجورطياً وبارداً. ومصاييح الكهرباء الموزعة في الساحل لم تساعد في تخفيف البرودة. الدليل كان رجلاً في منتصف العمر من سكان الناحية. حذّره من الترحلق ودعاهم للانتباه. ثم قدم امامهم وانطلق في القاء محاضرة عن الاشياء التي يرونها ولكن برتابة ومن دون حماس، وصدى كلماته تتوزع في المغارة. بعد بضع دقائق قررت فانيسا ان لا تنتصت اليه بل تترك نظراتها تجول في حرية في المكان لترى الاشكال المكسّسة بفعل المياه في زخرفة جميلة وناعمة. برانت مسكها من ذراعها مساعداً اياها على تجنب الأطراف الزلقة بحتمام كبير. دفء اصابعه خفف من برودة المغارة كلياً توغلاً فيها. كان يقول بعض الملاحظات كلياً لفته منظر فات فانيسا، ووافقها الرئي ان الدليل يمل.

بعد مرور بعض الوقت، ومن دون اذار، انقطعت الكهرباء وحجم على المغارة ظلام دامس. وفي سرعة احاط برانت بكتمّ فانيسا قائلاً:

«لا تخافي، ربما احترق سلك كهرباء.»

صوت الدليل بلغها من بعد قصير.

«يبدو ان في المحول عطلا. وأنا لم اجلب معي بطارية ضوء. هل تتامران في العودة معي في الظلام ام تنتظران حتى اعود بالبطارية؟ أنا اعرف الطريق غيباً ولن يطول تأخري.»  
«سننتظر.»

قال برانت، مقرأً عن كليهما.

تحرك الدليل، وسمعا صدى خطواته في المغارة تبتعد الى ان



اختفت نهائياً. وبقي صوت قطرات الماء تنزل قطرة قطرة.  
«هل أنت خائفة؟»

سألها برانت وأضاف:

«أنت ترعنين مثل ورقة».

بدأت عينها تمتادان الظلمة، ونظرت إليه فتمكنت من تحديد شكل وجهه من دون الملامح.

«أشعر وكأننا دفناً في قبر».

قالت محاولة المزاح. سألها إن كانت ترغب في سيطرة للتخفيف من وطأة الظرف، فوافقت. رفع ذراعه عن كتفها، وشعرت بعلبة السكاكر الفضية الباردة بين يديها سحبت سيطرة، وهو تناول واحدة له. أشعل ولاعته، واذ بالمكان يمتلئ بخيالات متحركة راقصة. وعندما أشعل السيكارتين وأطفأ اللواعة، عاد المكان يفرق في الظلمة.

قال:

«هناك مصطبة خلفي نستطيع أن نجلس عليها».

ومحزماً معاً قليلاً وجلسا. ثم خلع سترته ووضعها على كتفها وسط اعتراضها.

«إنها سترتك، ستبرد أنت، وستسخ السترة...».

«كفي عن الثروة والبسيها. أنا لا أشعر بالبرد. وأظن إن السترة يمكن غسلها أليس كذلك؟».

شعرت بالدفء. وفي صمت راحت تدخن سيكارتها. واذ به يفاجئها بالسؤال:

«ماذا كنت تفعلين يا قانيسا في أوقات فراغك؟ لا أظن أنك امضيت هذا الوقت وأنت منكبة فوق الفهارس أو تزورين المعارض والمتاحف. أنا عرفت منك أنك لم تقعي في الحب. ولكن بالطبع كان

يوجد صديق يأخذك إلى مرقص أو إلى مسرح؟».

فكرت أنه يسأل ربما من أجل إيجاد موضوع يتحدثان فيه لقتل الوقت. اذ لا يمكن أن يكون مهتماً بحياتها الخاصة الماضية. ولكن

اجابت:

«وكان هناك شخصان. ولكن لم تطل علاقتي بأي منهما. ربما لم يجداني مشيرة للاهتمام».

«صحيح؟».

سأل متفاجئاً وأضاف:

«وأنا كنت اهتم...».

وانقطعت العبارة نتيجة عودة الضوء إلى المكان.

«حسناً. الآن نستطيع أن نعود».

قال وهو يرمي عقب السيارة جاتياً.

سألها:

«هل أنت مستعدة؟».

وقفت وبدأت تمشي امامه، فأوقفها قائلاً:

«ثمة أوقات على الرجل أن يتولى القيادة».

وأضاف وهو يضحك:

«وعلى المرأة أن تعرف كيف تستند إلى الرجل حتى لو كانت تدعي

ذلك. على الأقل من أجل رفع معنوياته».

التقيا بالدليل في مدخل المغارة. ويدا أنه انزعج لأنها لم يرغباً في

متابعة الرحلة داخل المغارة. ولكن ما لبث أن انفرجت أساريره

عندما رأى حجم البقشيش الذي اعطاه إياه برانت. استقبلها دفء

الشمس ويريقها في العالم الخارجي نظرت قانيسا إلى ساعتها

وفوجئت أن الوقت لم يتجاوز الرابعة بعد الظهر. بدت وكان ساعات

وساعات مرت على مغادرتها إلى بنغز.



«ستأخر على الشاي».

قالت فاتيستا.

برانت ردّ هدهو:

«أنا قلت لنورا أننا سنشرب الشاي في الخارج. هناك مقهى صغير لا يبعد كثيراً، يديره شخصان عزيزان جداً، بعد أن كل الكعك والفتاير بأيديهما. فتايرهما أطيب من تلك التي تعدّها امي، ولكني لم أجروّ ولا مرة على البوح لها».

المقهى كان مزدحماً بالناس مع أنه يقع في طريق لمرعية. وبدأ لها ان برانت حجز طاولة قرب النافذة مسبقاً.

لاحظت التكريم الذي لقيه من العاملين في المقهى فقالت: «يبدو أنك تأتي كثيراً الى هنا، هل هو مكانك المفضل الذي تلتجىء اليه؟».

«ومن ماذا اهرب كي التجيء الى هنا؟».

حارت جواباً لأنها لم تجد سبباً وجيهاً دعاها لطرح السؤال العفوي قالت:

«لا اعرف. ربما تأتي عندما ترغب في تغيير الرتبة».

«ربما معك حق. أي تغيير يكون مفيداً. هل وجدت التغيير اليوم مفيداً لك خارجاً عن الرتبة يا فاتيستا؟».

«جداً، على الرغم من أنني لا اجد العمل في الينغز رتيباً. هناك دائماً اكتشافات جديدة لي. أنا ممتهنة جداً للفرصة التي سنحتها لي في العمل بالتحف».

«هل يمكن أن تسي غرامك بالتحف لبضع ساعات؟ أنا لا اتوقع ثناء، إذ اني احصل منك جهداً اضعاف ما ادفعه لك من راتب».

شعرت انه متزعج ولم تعرف السبب. ماذا تراه توقع منها أن تقول؟ رغم غياب الرسميات في تمهولها بعد الظهر، يبقى هورب

عملها ومديرها وهي تشعر نحوه ببعض... الرهبة! هل تراها الكلمة الصحيحة التي تعبر عن شعورها نحوه.

وصل الشاي في ابريق مزين. ومعه صحن من الفتاير الطازجة الساخنة وفوقها تيسيل الزبدة الصفراء. وجدتها للذيذة مثل وصف برانت لها.

عندما بدأت في أكل الفطيرة الثالثة قالت:

«يبدو اني سأسمن كثيراً هنا، ولن يأتي اليوم الذي انهي العمل فيه في الينغز الا وأكون اصبحت ضعفين».

«ولا اظن ان يوماً ما يمكن ان تصبحي سمينة. انت لا تملكين البنية العظمية الاساسية للامتلاء».

مدّ يده نحوها ومسك يدها ثم بسطها على راحتها وحاول أن يقرأ كفهها.

«يبدوك جميلة فاتيستا أنت حساسة وذكية. ماغي علمتي كيف اقرأ الكف عندما كنت ولداً. أرى عمراً منبداً أمامك وثلاثة أطفال».

«يجب ان أعثر على زوج أولاً!».

قالت مبتسمة وهي تشعر أن الاحمرار يملأ خديها.

«طبعاً».

هز رأسه، ثم سحب يده ملاحظاً الوقت على ساعتها، وأضاف:

«انها الخامسة وعشر دقائق. اظن يجب ان نعود. إذ أمامي عمل نحو السابعة خارج الينغز».

الطريق الى البيت كانت سريعة ولكن مريحة. كان يدها الى الأماكن الملمتة في المنطقة حيث يمرّان. ونصحها ان تزورهم عندما

تسمح لها الفرصة.

استقبلتهم امي في القاعة الكبرى. قالت:

«ان الأنسة موياحضرت لرؤيتك. لم تنتظر. طليت ان تتصل بها



في البيت عندما تعود.

الأرجح انها تريد أن تسأل شيئاً بسيطاً.

وتابع لفانيسا:

وحياة مويبا سلسلة عقد. هي لا تعرف كيف تتخذ قراراتها

لوحدها.

دخل برانت الى المكتب ليجري الاتصال الهاتفني . وتابعت فانيسا

طريقها الى غرفتها. شعرت فجأة انها متزعجة ومتعبة. وان صداعاً

في رأسها يدنو فأسرعت في تناول حبة قبل ان يستجمل.

## ٧- خيانة غير متوقعة

www.lilias.com

جاء تشرين الأول بارداً وممطراً. رياح هوجاء سيطرت على  
الوادي مزيلة أكثر اوراق الشجر. الحقول تحولت الى برك ماء،  
والخراف انتقلت الى مراعي منحدره في مجموعات بدت كثيفة  
الصوف، رطبة وموحلة.

والبقاء في المنزل لم يكن مزعجاً لفانيسا. كانت تقدمت في  
الفهرسة وتجد كل الاعمال المنوطة بها مفهومة. فكرت ماذا  
يحصل ان انتهت من العمل قبل انتهاء الاشهر الستة؟ هل يبقى  
برانت في حاجة اليها ام يستغني عنها وينصحها بالبحث عن  
عمل آخر؟ ان العقد بينها واضح وملزم للطرفين. ولكنها كانت  
تعلم انها لن تلزمه به.



في صباح يوم خميس كانت فانيسا تراجع البريد عندما دخلت إليها نورا ومعها لائحة باسماء الضيوف المدعوين الى حفلة العشاء في القصر في الاسبوع المقبل. قالت:  
«حفلات العشاء هي الجانب الاساسي من تسليتنا خلال الشتاء. نقيمها مرتين في الشهر على الاقل».  
وناولتها دفتر العناوين مع اللائحة وقالت:  
«ارجو ان لا تجعلي الرسائل رسمية جداً، انهم جميعاً اصدقاء حميمين. ربما كان افضل لو اكتب لهم الدعوات بخط يدي ولكن عليّ كتابة رسائل شخصية كثيرة».  
ونظرت الى الملفات امام فانيسا قائلة:  
«برانت قال انك تقومين بعمل جيد في الفهرسة. الاتبعين منه؟ الاتملين؟»

ضحكت فانيسا وقالت:  
«انا هنا منذ ثلاثة اسابيع فقط ولا اظن ان احداً يملّ خلال فترة قصيرة من عمل يجه. ان رالينغز تشبه مغارة علاء الدين بما تحويه من تحف. لا استطيع التصديق بأن اعيش في مكان كهذا».

ولاحظت نورا رسالة على مكتب برانت فقالت:  
«لماذا تبهيين برانت الى موضوع كهذا؟ ان موسم استقبال الزوار انتهى منذ شهر».

«اعرف ذلك. ولكنه طلب خاص من معلمة في مانسستر كانت ترغب في جلب تلميذاتها خلال الصيف ولكنها لم تتمكن. لذلك ترجونا ان نقبل بالزيارة وان كانت خارج الموسم. وانا فكرت بأن برانت لن يمانع في طلب خاص كهذا».

«اظن انه سيمانع. انه لا يفتح القصر للزوار خارج الموسم الرسمي. ويعتقد ان الخدم يستحقون راحة بعد التعب الذي يعانون منه في الصيف نتيجة اعمال التنظيف عقب هرج ومرج جمهور سعيد».

برانت ردّت الكلمات ذاتها في وقت لاحق عندما فاتحته فانيسا بالموضوع قال:

«نحن دائماً نتلقى طلبات مماثلة من فئات ترغب في معاملة خاصة. ولكن القصر يفتح للجمهور فقط لأن ابى بدأ هذا التقليد. وخارج هذا الموسم انا احب الخلود الى الحرية الشخصية في بيتي».

«ولكن هذا الطلب مختلف. انه من صف يدرس مرحلة مهمة من تاريخ انكلترا. كيف تقبل ان توقف مسيرة التعليم؟»

«ان مساهمتي او تمنحي لا يضيف او ينقص شيئاً في مسيرة التعليم. اضافة الى ذلك فالمعلمة تقول في رسالتها انها ترغب في الحضور خلال الاسبوع المقبل، هل تقترخين ان اعطل يوماً بعد الظهر وادور مع حفنة من تلميذات المدرسة اللواتي لا اظن انهن مهتمات بالموضوع قدر اهتمام معلمتهن».

«ارجوك لا تعطل يومك. انا استطيع ان اتدبر الامر وحدي».

«ارى انك اعددت كل شيء مسبقاً. قررت ان يحضروا معها يكن الامر! وطلب موافقتي ليس الا من باب اللياقة».

«انه بيتك. ولكن هل ستسمح لهم بالحضور؟ برانت، ارجوك!».

حاولت ان تتملقه بدلال ونجحت.



«كيف يمكن ان اعترض بعدما طرحت الطلب من هذه الزاوية؟ يمكنك ان تكوني مقنعة جداً عندما تضعين قلبك في اي قضية. قولي لي هل هذا الموضوع يملك شخصياً ام انه اثار فيك الرغبة في خوض معركة معي؟»

«كلا، ابداً. انا فقط لم ارغب في تسفيه المعلمة الأنة بيرسون هل يمكن ان اكتب لها وأبلغها ان تحضر في الاسبوع المقبل؟»

«اذا رغبت في ذلك.»

وانتظرها لتجلس خلف مكتبها وتحضر الآلة الكاتبة لتعد الجواب. وقال وهو يقادر العرفة بخبث ظاهر:

«سأترك الامر لك كي تبخني امي ان تعد الشاي والسندويشات لاحدى وعشرين فتاة في اليوم الموعد. اظن ان تعليقاتها ستكون مفيدة.»

وادركت ماذا عني في كلامه عندما ابلغت امي في وقت لاحق. اذ ان مديرة البيت استقبلت الخبر بالزجاج شديد قالت:

«طيلة وجودي هنا لم يفعل السيد برانت شيئاً كهذا من قبل انا انتهيت مؤخراً جداً من اعادة القصر الى وضعه الطبيعي بعد صيف حافل بالزوار. والان تواجهيني بطلب كهذا! اولاد مدرسة؟ ماذا جعله يقبل بهم؟ لا استطيع التفكير في حالة المكان بعد ان يغادره، ستكون بصمات اصابعهن في كل مكان، اغراض في غير مكانها...»

ولسن اولاداً، بل فتيات راشدات في الخامسة عشرة من عمرهن.»

وامي لم تكن مستعدة ان تهزم في الحرب الكلامية فقذفت ما

تيسر عندها من عبارات انزعاج وغادرت غرفة المكتب. في الثانية والتصف بعد الظهر، اطلت مويبا برأسها من باب غرفة المكتب وقالت لفانيسا العاملة بجهد على الآلة الكاتبة. «الا تتراحين ابداً؟ ستحولين الى خرقه بالية ان استمررت هكذا!»

لم تستطع فانيسا ان تحبس ابتسامتها للفتاة الممتلئة حيوية على الرغم من انها كانت ترغب ان لا يزعجها احد. مستحيل ان لا يجب احد مويبا. روحها حية دائماً وطبعها دافئ ومشمس. تستطيع فانيسا ان تفهم لماذا يحبها برانت. ولكن ربما تكون صغيرة له.

وقالت فانيسا مشيرة الى العمل.

«انها الطريقة الوحيدة لتمضية الوقت في طقس مطر.»  
وتساءلت في نفسها ماذا تفعل مويبا بايامها.

نظرت مويبا اليها متمجبة وقالت:

«ولكن الطقس صااح. هل تظنين اني احضر على الحصان ان كان الطقس مطراً؟»

واستدارت فانيسا بكرسيها لتتظر عبر النافذة وتقول:

«اذن توقف المطر. جميل جداً.»

«تعالى معي لتركب الخيل ونستفيد من الطقس.»

«وماذا عن العمل أمامي؟»

«اتركيه. ان برانت لو كان هنا يكون اول من يوافق على

تنشقك بعض الهواء المنعش.»

ترددت فانيسا قليلاً ثم قالت:

«حسناً. ساحضر. ولكن ارجو ان لا تبعد كثيراً. انا لم اعتد

بعد على سرج الحصان.»



في صباح يوم خميس كانت فانيسا تراجع البريد عندما دخلت اليها نورا ومعها لائحة باسماء الضيوف المدعوين الى حفلة العشاء في القصر في الاسبوع المقبل. قالت:  
«حفلات العشاء هي الجانب الاساسي من تسليتنا خلال الشتاء. نقيمها مرتين في الشهر على الاقل».  
وناولتها دفتر العناوين مع اللائحة وقالت:  
«ارجو ان لا تجعلي الرسائل رسمية جداً، انهم جميعاً اصدقاء حميمين. ربما كان افضل لو اكتب لهم الدعوات بخط يدي ولكن عليّ كتابة رسائل شخصية كثيرة».  
ونظرت الى الملفات امام فانيسا قائلة:  
«برانت قال انك تقومين بعمل جيد في الفهرسة. الاتبعين منه؟ الاتملين؟»

ضحكت فانيسا وقالت:  
«انا هنا منذ ثلاثة اسابيع فقط ولا اظن ان احداً يملّ خلال فترة قصيرة من عمل يجبه. ان رالينغز تشبه مغارة علاء الدين بما تحويه من تحف. لا استطيع التصديق بأن اعيش في مكان كهذا».

ولاحظت نورا رسالة على مكتب برانت فقالت:  
«لماذا تبهيين برانت الى موضوع كهذا؟ ان موسم استقبال الزوار انتهى منذ شهر».

«اعرف ذلك. ولكنه طلب خاص من معلمة في مانسستر كانت ترغب في جلب تلميذاتها خلال الصيف ولكنها لم تتمكن. لذلك ترجونا ان نقبل بالزيارة وان كانت خارج الموسم. وانا فكرت بأن برانت لن يمانع في طلب خاص كهذا».

«اظن انه سيمانع. انه لا يفتح القصر للزوار خارج الموسم الرسمي. ويعتقد ان الخدم يستحقون راحة بعد التعب الذي يعانون منه في الصيف نتيجة اعمال التنظيف عقب هرج ومرج جمهور سعيد».

برانت ردّت الكلمات ذاتها في وقت لاحق عندما فاتحته فانيسا بالموضوع قال:

«نحن دائماً نتلقى طلبات مماثلة من فئات ترغب في معاملة خاصة. ولكن القصر يفتح للجمهور فقط لأن ابى بدأ هذا التقليد. وخارج هذا الموسم انا احب الخلود الى الحرية الشخصية في بيتي».

«ولكن هذا الطلب مختلف. انه من صف يدرس مرحلة مهمة من تاريخ انكلترا. كيف تقبل ان توقف مسيرة التعليم؟»

«ان مساهمتي او تمنحي لا يضيف او ينقص شيئاً في مسيرة التعليم. اضافة الى ذلك فالمعلمة تقول في رسالتها انها ترغب في الحضور خلال الاسبوع المقبل، هل تقترخين ان اعطل يوماً بعد الظهر وادور مع حفنة من تلميذات المدرسة اللواتي لا اظن انهن مهتمات بالموضوع قدر اهتمام معلمتهن».

«ارجوك لا تعطل يومك. انا استطيع ان اتدبر الامر وحدي».

«ارى انك اعددت كل شيء مسبقاً. قررت ان يحضروا معها يكن الامر! وطلب موافقتي ليس الا من باب اللياقة».

«انه بيتك. ولكن هل ستسمح لهم بالحضور؟ برانت، ارجوك!».

حاولت ان تتملقه بدلال ونجمت.



«كيف يمكن ان اعترض بعدما طرحت الطلب من هذه الزاوية؟ يمكنك ان تكوني مقنعة جداً عندما تضعين قلبك في اي قضية. قولي لي هل هذا الموضوع يملك شخصياً ام انه اثار فيك الرغبة في خوض معركة معي؟»

«كلا، ابداً. انا فقط لم ارغب في تسفيه المعلمة الانسة بيرسون هل يمكن ان اكتب لها وابلغها ان تحضر في الاسبوع المقبل؟»

«اذا رغبت في ذلك.»

وانتظرها لتجلس خلف مكتبها وتحضر الآلة الكاتبة لتعد الجواب. وقال وهو يقادر العرفة بخبث ظاهر:

«سأترك الامر لك كي تبخني امي ان تعد الشاي والسندويشات لاحدى وعشرين فتاة في اليوم الموعد. اظن ان تعليقاتها ستكون مفيدة.»

وادركت ماذا عني في كلامه عندما ابلغت امي في وقت لاحق. اذ ان مديرة البيت استقبلت الخبر بالزجاج شديد قالت:

«طيلة وجودي هنا لم يفعل السيد برانت شيئاً كهذا من قبل انا انتهيت مؤخراً جداً من اعادة القصر الى وضعه الطبيعي بعد صيف حافل بالزوار. والان تواجهيني بطلب كهذا! اولاد مدرسة؟ ماذا جعله يقبل بهم؟ لا استطيع التفكير في حالة المكان بعد ان يغادره، ستكون بصمات اصابعهن في كل مكان، اغراض في غير مكانها...»

ولسن اولاداً، بل فتيات راشدات في الخامسة عشرة من عمرهن.»

وامي لم تكن مستعدة ان تهزم في الحرب الكلامية فقذفت ما

تيسر عندها من عبارات انزعاج وغادرت غرفة المكتب. في الثانية والتصف بعد الظهر، اطلت مويبا برأسها من باب غرفة المكتب وقالت لفانيسا العاملة بجهد على الآلة الكاتبة. «الا تتراحين ابداً؟ ستحولين الى خرقه بالية ان استمررت هكذا.»

لم تستطع فانيسا ان تحبس ابتسامتها للفتاة الممتلئة حيوية على الرغم من انها كانت ترغب ان لا يزعجها احد. مستحيل ان لا يجب احد مويبا. روحها حية دائماً وطبعها دافئ ومشمس. تستطيع فانيسا ان تفهم لماذا يحبها برانت. ولكن ربما تكون صغيرة له.

وقالت فانيسا مشيرة الى العمل.

«انها الطريقة الوحيدة لتمضية الوقت في طقس مطر.»  
وتساءلت في نفسها ماذا تفعل مويبا بايامها.

نظرت مويبا اليها متمجبة وقالت:

«ولكن الطقس صباح. هل تظنين اني احضر على الحصان ان كان الطقس مطراً؟»

واستدارت فانيسا بكرسيها لتتظر عبر النافذة وتقول:

«اذن توقف المطر. جميل جداً.»

«تعالى معي لتركب الخيل ونستفيد من الطقس.»

«وماذا عن العمل امامي؟»

«اتركيه. ان برانت لو كان هنا يكون اول من يوافق على

تنشفت بعض الهواء المنعش.»

ترددت فانيسا قليلاً ثم قالت:

«حسناً. ساحضر. ولكن ارجو ان لا تبعد كثيراً. انا لم اعتد

بعد على سرج الحصان.»



وكانت نزهة ممتعة، اعترفت فانيسا لنفسها. شعرت انها  
تلعبذة هاربة من الصف تتمتع بوقتها.

وعندما عادتا الى الاسطبل ترجلتا تاركين جورج يهتم  
بحصانيتها. وتوجهت مويبا الى ملجأ حصان برانت. تحرك  
فايبان في ملجأه مستنداً رأسه على الباب النصفي ساعداً لمويبا ان  
ترت على رأسه وتفرك جبينه.

راقبتها فانيسا. انها لم تكن واثقة من الحصان. كان يشبه  
معلمها كثيراً. ضخم، واثق، وغير ممكن التنبؤ بتصرفاته.  
سألت فانيسا:

«هل سبق أن امتطيت فايبان؟»

«مرة واحدة حاولت قبل ثلاث سنوات. ولكن فشلت.  
«ماذا حصل؟»

«راح يقفز ويدور الى ان تعبت فترجلت وما عدت ارجب في  
ركوب اي حصان. انه لا يفقد اعصابه عادة. ولكن ان فعل  
فانه مخيف. لم استطع الجلوس في راحة لمدة اسبوع.»

وتابعت تفرك جبين فايبان، والحصان يبدو مطمئناً وراضياً.  
وعندما تكلمت مويبا من جديد طرحت سؤالاً لم توقعه  
فانيسا اذ قالت:

«هل تظنين اني صغيرة على الزواج؟»

مرت دقيقة وفانيسا تجمع افكارها لتتمكن من الاجابة:

«ان كنت تقصدين سنوات العمر فالامر ليس مهماً. كثيرات  
يتزوجن في مثل سنك، وكثيرات اصغر منك.»

«انت اكبر مني قليلاً، هل ترغين في الزواج؟»

«ثمة قضية صغيرة، ايجاد الزوج المناسب اولاً. من الطبيعي  
ان اتزوج في يوم من الايام ولكني لست مستعجلة.»

«انا مستعجلة. انا مستعدة للزواج غداً ان كنت قادرة.  
ولكن ابي وبرانت يظنان ان الفتاة يجب ان يكون عمرها اثنتين  
وعشرين سنة قبل ان تتزوج. ماذا استطع ان افعل تجاه ذلك؟  
عليّ ان انتظر سنة اضافية قبل ان اتحكم بالامور.»

حتى في ذلك الوقت ستكون الامور في يد برانت، فكرت  
فانيسا. بدأت تفهم. ان برانت راغب في الزواج من هذه الفتاة  
ولكنه ينتظرها ان تنضج. هو راقبها تكبر من طفلة الى شابة  
جميلة، وحيناً كان دائماً يفكر بالزواج منها ولكن عندما يتمكن  
من عجنها وتحويلها الى المرأة التي يريد. سنة اضافية ستكون  
كثيرة لمويبا هي التي انتظرت كل العمر. ولكنها قليلة لبرانت في  
ان يتمكن من تغيير طباع مويبا. ومع ذلك لم تتمكن الا ان تتذكر  
الكلمات التي قالها لها في السيارة ذلك السبت الاول، ان الحب  
لا يتم بالوقت او بالمكان. يحضر عندما لا تتوقعينه. كيف يمكن  
ان يخرج بهذه الفلسفة وهو يعدّ بهدوء وانتظام مشاريعه مع  
مويبا؟

عاد جيرارد من المقلع باكراً بعد ظهر اليوم التالي، ووجد  
فانيسا على سلام المكتبة تتفحص رسوم السقف.

«لا تقولي لي ان هذه الرسوم ستدخل ايضاً في الفهرسة؟»  
«طبعاً ستدخل. انها نقوش مهمة.»

ثم سألته.

«هل عاد برانت ايضاً؟»

«كلا. سمعته يقول شيئاً عن موعد مع مويبا ووالدها.  
واتوقع ان يكون معهم على العشاء ايضاً.»

«أه.»

علقت ويدت نبرة صوتها مختلفة. حدّق فيها جيرارد بخبث



وقال:

«تبدلين وكأنك اصبت بخيبة امل. لا تعترفين لي انك وقعت في حبه يا فان؟»

«لا تتادفين باسمي مختصراً هكذا».

ردت بعصبية وانزعاج ظاهرين الامر الذي اثار جيرارد فقال:

«هل انزعجت لاني اصبت نقطة ضعفك؟ لن تكوني الاولى يا عزيزتي التي تقع في غرام برانت. يبدو ان النساء يجدن في ابن خالي الاغراء الذي لا يقاوم. في كل حال هو صيد ثمين خصوصاً بالمال الذي يملك، ام انك تحبينه لشخصه لا لماله؟»

«ارجوك يا جيرارد ان توقف هذا الكلام».

قالت في نقاد صبر غير اعتيادي. ثم اضافت:

«كلا، انا لم اقع في غرامه».

«اعتذر ان كنت ازعجتك. في كل حال انا اظن انك منطقية، وأكثر واقعية بحيث لا تقعين في المستحيل. عندما تقعين سيكون مع شخص مع عيظك، شخص موثوق به وذكي ومجد في عمله».

«اذن انت نجيت مني».

قالت تتعمد ايذاء».

«اصبت يا عزيزتي فانا احمل كل الصفات السيئة».

ويدا انه تعب من الموضوع وانه يريد شيئاً آخر، قال:

«فانيسا، هناك حفلة راقصة في فندق قريب هذه الليلة، هل تذهبين؟»

ترددها لم يظلم. برانت لن يعود الى البيت قبل وقت متأخر. ولا شيء يمنعها من الذهاب.

فقالت:

«احب ذلك. ولكن احذوك، انا لم ارقص منذ زمن بعيد. ربما لا اصلح شريكة في الرقص».

«ليس مع العم جيراردا».

«ايتسم وهو يضيف:

«اذن نلتقي في السابعة. ستتناول وجبة باكراً قبل الذهاب».

كان ينتظر في القاعة الكبرى عندما نزلت فانيسا في السابعة، حلوة وجذابة في فستان ازرق سماوي لم تلبسه من قبل في رالينغز. صغر تصغيراً اعجاب طويلة وساعدها في ارتداء المعطف.

في الخارج كان الظلام. والليله يغيب عنها القمر لتلبد الغيوم. ومع ذلك تمكن جيرارد من قيادة سيارته بسهولة الى ان وصل الى الطريق العامة الملاى بالاضواء والسيارات. عدة مرات خلال الرحلة قفز قلب فانيسا من مكانه ليس لانها شككت في قدرة جيرارد في القيادة، بل خوفاً من السائقين الآخرين الذين قد لا يملكون المؤهلات الكافية في مواجهة الموقف الصعب الذي يضعهم فيه.

«الا تحيين السرعة؟»

سأل ضاحكاً وهو يلاحظ خوفها ثم اضاف:

«لم يحصل لي اي حادث اصطدام في حياتي».

«ربما، ولكن اسأل كم عدد الاشخاص الذين سببت لهم ازمات في القلب».

«ليس من قيادة السيارة، بل من اشياء اخرى تعرفتها يا عزيزتي».



الفندق كان واحداً من الابنية الحديثة التي تعتبرها فانيسا  
بشعة. الباحة الخارجية مزودة بالسيارات. في الداخل تمكن  
جيرارد من إيجاد طاولة في صعوبة.  
«انا انسى ان الفندق يزدحم بالناس عندما تكون فيه حفلة  
راقصة. كان يجب ان احجز مسبقاً».

ورفع لائحة الطعام والشراب امامها وسألها ماذا ترغب،  
وقبل ان يأتيه الجواب قال:  
«ولتناول شرباً أولاً ونحتفل بهذه المناسبة السعيدة. ثلاثة  
اسباع مرت قبل ان اتكمن من السهر معك».

الطعام كان جيداً، انتهى منه في الثامنة والنصف وانتقل  
بعدها الى قاعة الرقص. بعض من اصدقاء جيرارد كانوا  
هناك. دعاهم للانضمام الى طاولته. بدوا لفانيسا خلال  
السهرة طرفاء، ولكن معجيين بالوضوء. لم يكونوا وحدهم في  
اثارة الضجيج، ولم يكن ذلك هو السبب الذي جعل فانيسا لا  
تتمتع بالسهرة بالقدر الذي توقعت. المكان ليس المفضل  
لديها. بل المفضل لجيرارد. وهو يبدو في احسن حالاته. راقبه  
برقص مع الفتيات الاخريات بعدما اعلمته انها تعبت،  
وتساءلت عن الطاقة التي يملكها في الاستمرار في الرقص  
طويلاً.

شعرت انها وحيدة على الطاولة. قامت الى غرفة حمام النساء  
ترطب وجهها وتحسن هندامها. غرفة الحمام مطلية باللونين:  
الزهري والفضي، والغرفة الجانبية للهندام مقسمة الى مكعبات  
متباعدة، في داخل كل مكعب مرآة وطاولة صغيرة وكروسي.  
استراحت فانيسا داخل احدها وراحت تنظر الى وجهها في  
المرآة وتجري بعض التحسينات على زيتها. واذ بها تسمع

صوت فتاتين دخلتا الى الغرفة عرفتهما من نبرة صوتهما، انها من  
فتيات الشلة. اختارتا مكعباً يبعد قليلاً عن فانيسا من دون ان  
تسبها الى وجودها وتابعتا حديثهما:

«اظن ان الفرقة العازقة الجديدة سيئة. الفرقة السابقة كانت  
افضل. لا اظن اني سأعود الى السهر هنا. ما رأيك يا  
فاليري؟».

«الامر يتعلق برفاقنا يا دورين. كنا نأتي الى هنا كل مساء  
جمعة طيلة الأشهر الستة الماضية. ولا اظن ان احداً سيعترض  
لتغيير المكان».

توقفتا عن الكلام قليلاً ثم قالتا في خفة:

«ما رأيك بأخر صديقة لجيرارد؟».

«لا تبدو انها من طباعه. شكلها مقبول، ولون شعرها جميل  
جداً».

«هل تظنين انه مصبوغ؟».

«لست متأكدة ولكن اظنه طبيعياً. لا تبدو انها من النوع  
الذي يمضي وقته في التسلية بشعرها».

فكرت فانيسا بأن تغادر الغرفة. لكنها شعرت بالتسلية  
وليس بالانزعاج من حوار صريح عنها. وكان من المستحيل ان  
تغادر الغرفة من دون ان تلاحظها الفتاتان. صحيح انها لم  
تقولا شيئاً سيئاً عنها الا انها لا بد ان ترتبكا من رؤيتها تغادر  
الغرفة. بقيت جامدة في مكانها، تنتظرهما كي يغادرا قبلها  
ولكن تابعتا الحديث:

«من هي في كل حال؟».

«آه، انها سكوتيرة ابن خاله. وهي تسكن معهم».

«آه، ملائمة جداً لابن خاله».



«لا اظن ان بينها علاقة خاصة. انت لم تلقي برانت مالوري. كنت مع جيرارد في المدينة قبل اسبوعين وصادقنا ابن خاله مع موبا. طبعاً توقفتا وتبادلنا التحية، اذ لا يمكن ان يتجاهل ابن عمته وسط الطريق.»  
«كيف شكله؟»

«انه أحد هؤلاء الاشخاص السمر. شخصية قوية واخلاق. عندما يتحدث ينظر اليك من فوق.»  
وتابعت حديثها وهي تضحك.

«موبا كانت ذكية. مدت يدها تسلم وكانها لم ترني من قبل، وكان الليلة التي قبلها لم تكن معاً في الشلة نسهر في حفلة بوب فارو. بدت مختلفة تماماً مع برانت مالوري. لم افهم كيف جيرارد تمكن من التصرف ببرود. احب يوماً ما ان ارى وجه ابن خاله عندما يكشف ماذا بين الاثنين الطائشين جيرارد وموبا!»

اقلعت احداهن حقية يدها وسألت الثانية:

«هل تغادر الغرفة؟ سيعتقد الآخرون أننا اختفينا نهائياً ان لم نسرع اليهم.»

وما ان اقل الباب خلفها حتى شعرت فانيسا انها تعود الى التنفس ببطء. صدمت بما سمعته ولم تصدق. موبا وجيرارد؟ منذ متى يسهران معاً؟ «الاثنان الطائشان» قالت دورين. ماذا عن برانت؟ وماذا عن لطفة موبا للزواج من برانت؟ ام هي تأمل في الحصول على الاثنين معاً.

تريد زوجاً يؤمن الأمان والثراء، وعشيقاً يدفع عنها مللها! وفكرت ان هذا التصرف يمكن ان يجري لدى شخص يحسب ببرود وهذوء، وهما ليسا من طبع موبا التي لا يمكن ان تتحدح

احداً خصوصاً الرجل الذي ستزوجه في يوم من الايام! وشعرت فانيسا رأسها يدور ويدور.

كان جيرارد يجلس وحده على الطاولة عندما عادت فانيسا الى قاعة الرقص، رجله تطرق على الأرض مع ضربات الموسيقى وكأنه لا يستطيع ان ينتظر طويلاً بعيداً عن الحلبة.  
«اهلاً بك، كدت اظن انك غادرت المكان وتركتني وحدي.»

لم تجلس فانيسا بل قالت:

«ان الوقت متأخر. واعتقد انه من المناسب ان نعود الى البيت.»

«ماذا؟ الوقت متأخر؟ الساعة لم تتجاوز العاشرة بعد!».

«ومع ذلك اريد ان نذهب.»

«كلا يا عزيزي. ان السهر لليلة واحدة لن يزعجك. تعالي ترقص.»

فردت بعصية ووضوح:

«جيرارد، اما أن تأخذني الآن الى البيت او سأمشي الى هناك. انا سأذهب لارتدي معطفي وأمل ان القافك في السيارة بعد دقيقتين.»

كان يستند الى السيارة عندما وصلت. المرح غاب عن وجهه واستبدله بالغضب. لم يتكلم عندما فتح لها الباب لتجلس، ولا عندما اغلقه خلفها بقوة.

قاد السيارة في سرعة من دون ان يعبر عما يجول في خاطره. واخيراً قال بغضب.

«ماذا حدث هل هناك ما ازعجك؟ الناس معنا على الطاولة سيظنون اني كنت اتوي التعرض لعفتك! شعرت اني احمق.»



«ربما من الأفضل ان تكون انت احق على ان تجعل الآخرين  
حقى».

«وماذا يعني ذلك؟».

«لا شيء». لم أقصد شيئاً».

«بل قصدت. قولي من الذي جعلته احق؟».

«برانت».

«فوجيء». ثم هز رأسه.

«اذن هذا هو الموضوع. كان يجب ان اعلم ان فاليري لن

تحفظ لسانها».

واضاف ببلاهة.

«وهل الموضوع يهمك الى هذا الحد؟».

«فاليري لم تخبرني. انا سمعتها يتكلمان. ولا اظن ان الامر

يهمني الا انني اجد عملياً حقيراً في طعن برانت غير استعمال

موياء».

«انت على حق. بدأت العلاقة لطعن برانت. اعترف.

كنت أخذها للسهر معي فقط لانني كنت اتسل بفكرة سرقتها

من وراء ظهر ابن خالي. ولكن الامر يختلف الآن، صدقتني يا

فانيسا».

«هل تعني بكلامك انك تحبها؟».

«نعم. يحصل ذلك للجميع، للصالحين والسيئين».

نظرت اليه برية ثم قالت:

«وماذا عن موياء؟ هل هي ايضاً مغرمة بك؟».

«ورأت في عينيه شكاً وتردداً لم تلمحها من قبل:

ولست متأكداً. فقط اتمنى لو اعرف. بعض المرات اظن انها

تلعب بي على طريقي، تستعملني مثل جواز مرور الى اماكن

تعرف ان برانت لن يأخذها اليها. وعندما تمل سوف تتخلى عني

وهي متأكدة اني لن اغامر في اخبار برانت عن علاقتنا فأرسي

خارج راينغز».

«ماذا لو عرف هو؟ لا اظن انك تأمل ان تبقى هذه الاشياء

سرية في منطقة يعرف فيها كل الناس بعضهم».

«نحن لا نلتقي في اي مكان قريب من البيت. والخوف

الوحيد هو ان يرانا احد اصدقاء برانت معاً في المدينة. وهذا

يصعب حصوله لانني لا اعرف احداً من اصدقاء برانت يرتاد

اماكن نرتادها نحن».

ثم نظر اليها متسائلاً.

«هل ستخبرينه؟».

فكرت برهة فعل برانت ان عرف، وقالت بتأكيد.

«كلا لن اخبره».

استمر ينظر اليها وقال بامتنان.

«شكراً. انت فتاة طيبة و...».

«انتبه!».

صرخت.

«شخص على دراجة امامك».

وخلال لحظات حصل ارتباك ودوس فرامل وشتائم من

جيرارد الذي تمكن من تفادي الاصطدام ولكن عبر التزول في

خندق الى جانب الطريق. وللتو غرزت العجلات في الاوحال

وكان ارتطام قوي وصوت التواء حديد في هيكل السيارة وأخيراً

استقرت في مكانها. وقال جيرارد.

«آه... انكسرت السيارة».

كانت سيارته محط فخره وكذلك اعتزازه بقيادة السيارة ولكن



حصل ما حصل واختفى سائق الدراجة في العتمة من دون ضوء  
في دراجته ومن دون ان يتوقف ليرى ماذا حصل.

«علقتا».

قال جيرارد لفانيسا التي فتحت النافذة لتتنشق هواء يهدى  
من اعصابها.

واضاف:

«تخطمت من جانبي العجلات وخلعت المقدمة».

ثم سألها.

«هل انت بخير؟».

هزت برأسها.

«نعم. فقط ارجف قليلاً. اظن اننا محظوظون لان الحادث  
لم يكن اسوأ».

«ان الوضع سيء بما فيه الكفاية. والعجلة الامامية تبدو  
ملتوية. وحتى لو استطعت الخروج من الخندق فاني لن  
استطيع الابتعاد بالسيارة. هل لاحظت كشك هاتف على  
الطريق؟».

«اعتقد اني رأيت واحداً في آخر مفترق. نحو نصف ميل الى  
الوراء».

«الهاتف سيساعدنا. هل تريد ان تبقى في السيارة او تأتي  
معي؟».

«سأتي معك».

نزلت من السيارة وسارت على العشب الرطب بحيث  
غرزت قدمها في الوحل وامتلات جواربها بالماء والوحل.

«تعال تسرع في المشي قبل ان تجمد من البرد».

واضافت محاولة المزاح:

«لم اخرج في نزهة مشي في منتصف الليل منذ ايام  
الدراسة».

«الوقت ليس منتصف الليل!».

أجاب بقسوة وساراً معاً وهو يقول:

«لو استطيع ان اطاله لمزقت دراجته ارباً».

من كشك الهاتف، اتصل جيرارد بمرآب لتصلح السيارات  
واتفق معهم على ارسال رافعة. ثم اتصل برالينغز ونظر الى

فانيسا في ازعاج ظاهر اذ كيف سيواجه اهل البيت بالخير؟  
«هذا هو الجانب الصعب من المسألة. برانت دائماً يقول اني

سأنهي في خندق يوماً ما. أمل ان يرّد باكستر او عامل غيره. لا  
اظن ان برانت عاد الى البيت».

وعلى الطرف الآخر جاء الصوت.

«هنا رالينغز هول، برانت مالوري يتكلم».

«برانت، انا جيرارد. تعرضنا لحادث بسيط. هل يمكن ان  
ترسل لنا سيارة تأخذنا الى البيت؟».

«ماذا تقصد بكلمة تعرضنا؟ انت ومن؟».

«فانيسا معي. وهي متجمدة من البرد. ارجو ان تسرع يا  
صديقي».

«هل من جرحى؟».

«فقط السيارة».

«اين انتما؟».

واخيره جيرارد موقع السيارة فقال برانت منهيماً المكالمة:  
«انتظرا عشر دقائق فقط».

بدت الريح تزداد قوة وبرودة وهما يعودان الى السيارة.  
معطفاً بدا خفيفاً، أما حدادها فمفتوح وذو كعب عال لا



بلاكم اطلاقاً الوضع الذي وجدت نفسها فيه. سارا نحو  
السيارة وهما يتساءلان من تراه يأتي. ربما جورج، هو يعمل  
سائقاً عند الحاجة اضافة الى عمله في الاسطبل. وفي اللحظة  
التي وصلا فيها نحو السيارة المتضررة، برزت اضواء سيارة آتية  
من بعيد وظهرت السيارة السوداء الكبيرة تلف المنعطف  
وتتوقف على بعد امتار بسيطة منها.  
وشعرت فانيسا ان قلبها يتفقق بشدة عندما رأت وجه برانت  
يطل من خلف المقود.

www.lilas.com ٨ - وأدركت انها... مغرمة!

نظر برانت الى السيارة المعطلة وقدر الموقف في لحظات:  
«انت كنت تقود السيارة في سرعة!»  
قال بيروود واضاف:  
«فانيسا، ادخلي الى سيارتي. تبدين منهكة».  
ثم اعاد اهتمامه نحو ابن عمته:  
«هل اتصلت بمرآب تصليحات؟»  
جلست فانيسا في السيارة الفخمة ومدت رجليها المجلدتين نحو  
المدفأة الدائرة وشعرت ان الدفء في السيارة يتسرب اليها ببطء. عبر  
الزجاج امامها راحت تراقب الرجلين يتنقلان حول السيارة المتضررة  
ويتحدثان للحظات ثم افترق برانت عن جيرارد وعاد الى سيارته.



«سيتظر الرافعة لتحضر وتسحب سيارته».

قال برانت وهو يدير محرك سيارته وينطلق من حيث أتى من دون ان ينظر الى الوراء.

«كيف سيعود الى البيت بعدما يضع السيارة في المرآب».

قالت بعد تردد طويل بسبب الصمت الذي خيم على السيارة.

«هذا ليس شغلي أنا. ربما في سيارة تاكسي. هل تشعرين بدقه

الآن؟».

«نعم. اشكرك».

وشعرت انها تكذب. صحيح انها اقل برداً مما كانت عليه من

قبل، الا ان الرطوبة تخترق عظامها من الجوارب والحذاء المبللين.

بعد عشر دقائق وصلا الى البيت. ساعدها في النزول من السيارة

ومسكها من ذراعها. وبقيت يده عليها وهما يدخلان القاعة الكبرى

حيث راح توبر يقفز حياً معلمه.

نظر الى حذائها وجواربها وقال بعيوس:

«انت مبللة جداً. لماذا لم تخلعها عنك في السيارة؟».

«لم افكر انه علي ان افعل ذلك».

ثم قال في مبالغة لم تصدقها فاتيها:

«ثمة مرات تستحقين ان اصفحك بشدة!».

وأضاف:

«اذهي واخلمي الحذاء والجوارب في غرفة المكتب، وساحضر

لك منشفة».

النار كانت تشتعل في مدفأة المكتب. ويبدو ان حطية جديدة

اضيفت قبل وقت قليل. فكرت ان برانت ربما كان يعمل في المكتب

عندما اتصلوا. جلست على المقعد الوثير امام المدفأة ومدت رجليها

بعدما خلعت الحذاء والجوارب وكذلك المعطف. لم يتأخر برانت.

دخل المكتب وأغلق الباب خلفه. ناو لها المنشفة وتوجه الى ابريق

الشاي المعد مسبقاً قرب المدفأة. ارتخت قدميها على السجاد

ولاحظت انها تبدو مقشعرة. قدم لها الشاي قائلاً:

«اشربي، سيساعدك على الدفء».

تناولت فنجان الشاي وراحت تشرب من دون ان تجرؤ على النظر

نحوه، ولا ان تتذكر الاخيار التي عرفتها الليلة.

«الآن اخبريني ماذا حدث؟ سمعت رواية جيرارد وأريد الآن

سماع روايتك».

«ليس عندي الكثير لأقوله. سائق دراجة كان من دون اضاءة

ظهر فجأة امامنا. لم يكن من مجال امام جيرارد لتفاديه الا النزول في

الخلق».

«كان يمكن ان يقود سيارته بغير السرعة الممهودة. وكان يمكن

ايضاً ان يركز انتباهه على الطريق امامه. هل كان متشياً؟».

«كلا لم يكن».

شعرت ان عليها ان تضيف شيئاً تشرح عن سهرتها معاً. قالت:

«كنا في طريق العودة من حفلة راقصة في فندق الأسود الثلاثة».

رفع حاجبيه وتساءل:

«ويبدو انكما كنتما تعودان باكراً. ان الساعة الآن لم تبلغ الحادية

عشرة. وجيرارد يتأخر اكثر من ذلك».

«انا كنت متعبة. مرّ علي وقت طويل من دون رقص. واليوم،

لغياب العادة، تعبت».

«حسناً».

«ولم تتمكن من قراءة التعبير على وجهه ان كان صدّقها أو لا.

حدّق في قدميها العاريتين ثم قال:

«يجب ان تكوفي الآن في سريرك. هل انت مستعدة؟»



هزت رأسها موافقة. ثم مدت يدها لتناول الخداء وتضعه في قدميها، فقال:

«اتركي هذه الأشياء المبللة في مكانها. بينيت سيحضرها لك في الصباح».

مشى حتى الباب وانتظرها حتى تصل. فكرت ان بينيت قد يصدم في الصباح عندما يرى خداهما وجواربها في المكتب، وتساءلت إن كان برانت سيشرح له او كالعادة سيعتبر ان الأمر ليس شغله، مثلما يعتبر ان السير عارية القدمين حتى غرفة نومها لن يؤذيها. فتح الباب وانتظرها كما تخرج امامه. واذ بتصرف مفاجيء منه يربكها، رفعها بين ذراعيه وحملها الى الخارج. بقيت صامتة وهي تحديق فيه مذهولة.

ابتسم ساخراً وقال:

«لا تنظري الي بقلق هكذا، فلن تسقطي من يدي. لا اظن انك اعتقدت اني سأجعلك تسيرين عارية القدمين على السلام الباردة».

ومشى بها عبر القاعة فالسلام بخفة وكأنها طفل صغير بين يديه. شعرت فانيسا بدفء ذراعيه وخافت ان يلاحظ ارتجافها. فكرت انها تستطيع تخفيف ثقلها ان لفت ذراعيها حول رأسه ولكن شككت في أن ذراعيها تليان لو تحمرات ودرعت في ذلك.

في عمرات الطبقة الثانية حيث السجاد، قالت:

«استطيع ان اتابع طريقتي سيراً من هنا. شكراً».

انزلها فوراً. لم تستطع ان تنظر اليه خجلاً.

وليلة سعيدة».

قالت وكادت تركض في الممر الى غرفتها. اقلقت باب غرفتها خلفها واستندت الى الحائط وهي تستعيد انفاسها وتلهث. وهنا ادركت انها... مغرمة ببرانت!

كانت الساعة تشير الى العاشرة عندما نزل جيرارد الى الطبقة الارضية صباح السبت وهو يتشاءم. صادفته فانيسا في القاعة الكبرى في طريقها من غرفة المكتبة الى الباحة الخارجية، وفي يدها كتاب. سألته:

«في اي وقت عدت البارحة؟»

«في الثانية بعد منتصف الليل. تعبت جداً حتى عثرت على تاكسي».

بدا متعباً ومتجهماً، وقال:

«والسيارة تحتاج الى اسبوع للتصليح. اسبوع كامل. هذا معناه اني سأبقى في البيت كل هذه المدة».

قالت:

«استأجر سيارة، ان كان الذهاب الى المدينة في نهاية الاسبوع يعني لك الكثير».

نظر اليها ببعض الريبة متذكراً تلك اللحظة التي واجهته فيها بالحقيقة في السيارة قبل الحادث بدقائق. قال بمغزى فهمته فانيسا:

«لا يعني لي الكثير ان اذهب الى المدينة في نهاية الاسبوع».

«خذ سيارة اللانسيا اذا شئت. لن احتاج اليها».

قال ذلك برانت مفاجئاً الاثنين من الخلف. التفتا اليه في سرعة وهدت نظراتها وكأنها مذنبية.

سأله جيرارد:

«هل انت جاد؟»

«ان المزاح في هذا الموضوع لا معنى له».

قشعر جيرارد بارتباك وقال:

«ولكنني... بالأمس... ماذا عن الحادث؟»

رد برانت:



واعتقد ان ما حدث يعلمك امثلة. انت لست احق يا جيرارد  
وتعرف جيداً مثلما اعرف انك لو لم تكن مسرعاً في قيادة السيارة  
لكنت تمكنت من رؤية الدراجة، بأضواء او من دون اضواء. هل  
تريد اخذ السيارة الصغيرة ام لا تريد؟.

«نعم، اريد، شكراً يا برانت. سأكون اكثر انتباهاً».  
فقال برانت:

«من الأفضل لك ذلك».

وقيل ان يدلف الى غرفة المكتب قال لفانيسا:

«نسيت معطفك في غرفة المكتب ليلة امس».

فانيسا كانت تعرف ذلك جيداً. لكنها كانت تتجنب دخول  
المكتب ذلك الصباح مخافة ان تجده هناك. الآن لا مهرب امامها  
سوى الدخول وجلب المعطف. سارت بتردد نحوه. بقي واقفاً مكانه  
كي يسمح لها بالدخول قبله، مذكراً اياها بتصرفه في الليلة السابقة.  
ولوهلة تمنّت ان يفعل ذلك من جديد. اتعبتها محاربتها لعاطفتها  
نجاحه، من جهة ترغب ان تلتصق به، ومن جهة اخرى ان تهرب  
منه. شعرت ان تصرفها ليس طبيعياً وانه لا بد يلاحظها.

المعطف كان حيث وضعته بالأمس، على ذراع الكرسي. تناولته  
ووضعت على ذراعها وعادت ادراجها نحو الباب. لم يتحرك برانت  
من مكانه. سالها يهدوء:

«هل شعرت بأي مرض نتيجة تعرضك للبلل والبرد امس؟».

كان عليها ان ترفع رأسها نحوه لتجيب، ان تنظر الى عينيه وتأمل  
ان لا يكتشف فيها شيئاً خاصاً مثلما جهدت ان تبدو. اجابت:

«كلا، ابدأ اشعر ابي بخير».

ووجدته يضيف:

«لم تتناولي الفطور بكمية معهودة».

الا يغيب عنه شيء؟ شعرت برهبة. بدا لها على الفطور صامتاً  
شارداً في افكاره الخاصة ولم تتوقع ان يكون لاحظها وهي تأكل.  
قالت مختلفة عذراً:

«ولم اذهب في جولتي الصباحية على الحصان. ذاك كان يعطيني  
الشهية على الاكل».

«نعم، كان جورج يحضر الحصان دايس عندما مررت به نحو  
السابعة. انتظرت عشرين دقيقة ولم محضري هل غرقت في النوم؟».

كلا، فكرت فانيسا. انها لم تغرق في النوم. انها في الاساس لم  
تتم. وفي السابعة صباحاً استوت في سريرها وهي تحاول ان تجمع  
شئاً نفسها من دون ان تنجح. ولكن اجابت:

«نعم. استيقظت متأخرة».

ثم ركزت على المعطف في يدها مدعية انها تنزع بعض الغبار  
العالق، وسألته:

«هل تحتاج الي في العمل هذا اليوم؟».

اجابها وهو يتنحى عن الباب مسهلاً مرورها:

«نستطيع ان نأخذ اجازة في نهاية هذا الاسبوع. انها نعيدنا. في  
كل حال امامنا وقت كثير للعمل».

هل فعلاً الوقت كثير؟ تساءلت وهي تسير وحدها في القاعة  
الكبرى. كيف ستواجه الأشهر الخمسة في العيش تحت سقف واحد  
مع برانت، تعمل معه كل يوم، وتحبه كل يوم، وتحفظ بشعورها  
لنفسها من دون ان تجرؤ بالبوح او تتمكن من انتزاعه من جوارحها.

منذ اليوم الاول علمت ان الرجل يمكن ان تحبه. شعورها العدائي  
نحوه لم يكن اكثر من محاولة لحماية ذاتها من جاذبيته. كم تمنّت عبر  
محاولة كرهها له ان تتجنب خطره مع الاحتفاظ بالوظيفة التي تمنّتها  
كثيراً. الآن تعترف انها فشلت. ثلاثة اسابيع قصيرة كانت كافية



لقلب حياتها رأساً على عقب. وتمنت لو لم تقرأ الاعلان في الجريدة، لو لم تلتق ببرانت، لو لم تعرف هذا الحب في داخلها. كان من الأفضل ان لا تحب من ان تحب من دون امل.

الاسبوع التالي كان اطول اسبوع عرفته في حياتها. كانت تستطيع ان تغرق في العمل وتمتع اي شيء من نشئت ذهنها. ولكن وجدت ان حتى ملجأها في العمل يات غير كاف. وانها تعد الساعات وحتى الدقائق التي يعود فيها برانت من المقلع. مشتاقه وحالمة في اللحظة التي ستراه فيها.

الليالي التي كان يمضيها في الخارج كانت لها طويلة جداً. ومع ذلك عندما يكون في البيت، ترجو وتأمل ان لا يطلب منها ان تعمل معه. شعرت انها لا تستطيع ان تتحمل حميمية جو المكتب مع نار المدفأة والأضواء الجائنية.

على الغداء يوم الخميس سألت برانت من دون شديد اكتراث عن زيارة تلميذات المدرسة، ان كلن ما زلن مصممات عليها. اخبرته فانيسا انهن سيصلن في الثانية والنصف بعد الظهر.

«ارجو ان يذهبن قبل عودتي».

قال برانت ساخراً واطاف:

«بالمناسبة، ابي جاءني متذمرة فقلت لها ان الفكرة كلها فكرتك. ارجو ان تكوني مستعدة لتحمل رد فعلها القاسي في تصرفاتها معك خلال الأيام المقبلة!»

فكرت فانيسا ان الامر عندها سيان. فالمدبرة لم تحبها منذ حضرت الى القصر.

في الوقت المحدد وصلت التلميذات في اوتويس المدرسة وخلفهن وصل جيرارد بسيارته الأوستن التي خرجت من المرآب. ولم استطع ان اقاوم اغراء وجود مجموعة من الفتيات دفعة واحدة

في القصر! اراهن ان رالينغز لم تشهد يوماً مثله من قبل».

قال جيرارد مبرراً عودته وبقاءه لبعد الظهر.

رذت محاولة ضبط ضحكة:

«اصمت، سيسمعونك يا ابله».

نزلت على السلام الخارجية لتستقبل الفتيات بلباس المدرسة الأخضر وعيناها تبحثان عن المعلمة الأنسة بيرسون. طويلة نحيفة في الخمسين من عمرها. الفتيات بعضهن اكبر مما توقعت. نظرن اليها ثم تحولن بنظراتهن الى الشاب الأشقر الذي رحب بهن بحماس ظاهر. واختلط الحابل بالنابل وفكرت فانيسا انها لا تحسد الأنسة بيرسون على وظيفتها. والمعلمة بملاحمها القاسية بدت لا تنتمي الى المجموعة. كانت تمرر يدها على جبينها وكأنها تمسح الماء مبرحاً.

سألت فانيسا:

«هل انت بخير؟ لا تبدين مرتاحة».

«كلا، لست مرتاحة. اظن ان الوجع النصفي في رأسي عاودني.

تناولت قرصاً ضد الصداع في الاوتويس ولكن لا يبدو كافياً. لا تهتمي، سأستطيع ان اتدبر امري».

نظرت فانيسا الى المعلمة التي يبدو الألم يتدفق من عينيها،

وقررت:

«يجب ان ترتاحي لا ان تدوري في المتحف. تعالي الى المكتبة

ومعددي على المقاعد. السيد جيرارد ترنر وانا مستدبر امر تلميذاتك».

تجاهلت اعتراض المعلمة وتوجهت نحو جيرارد الذي كان نقطة ارتكاز حلقة من الفتيات. تجاوباً مع نظراتها افترق عن التلميذات

وجاء يستمع اليها تقول:

«جيرارد، ان الأنسة بيرسون مريضة. سأخذها الى المكتبة

لنستلقي هناك لبعض الوقت. هل تعتقد انك تستطيع ان تمسك



زمام الأمور حتى اعود؟ ابداً معهم من هنا في القاعة واريهن سلالة العائلة.

وابتسمت وهي تضيف:

«لا اظن انك ستجد صعوبة في اشغالهن بضع دقائق».

«عظيم جداً. انا توقعت ان نتحدث الي اليوم».

قال ذلك ضاحكاً وتوجه نحو الفتيات وهو يقول:

«حسناً يا آنساتي. هناك تغيير طفيف في البرنامج. يبدو انكن

ستبقين معي بضع دقائق. ان سررتن من هنا سابدأ في تلخيص تاريخ

عائلة مالوري عبر العصور».

تأمين راحة الأنسة بيرسون شغلها بعض الوقت. وعندما عادت

الى القاعة، وجدت ان المجموعة كلها اختفت، ولكن ضحكة

صاخبة من غرفة الاسلحة انبأها ما رغبت في معرفته. جيرارد كان

يقوم بالجولة على الطريقة التي تحلوه.

خلال ساعة من الوقت شعرت فانيسا انها توافق مع وجهة نظر

برانت الذي كان ابلغها شكه في اهتمام عميق للتلميذات صغيرات.

هن فقط اردن الزيارة لتغيير جو رثابة الصف. ومع وجود شاب

حسن الشكل وظريف، فانهن اصبن عصفرين بحجر. جيرارد

اضفى فكاهة على موضوع التاريخ الجاف.

من مكانها على رأس المجموعة لم تكن فانيسا تستطيع سماع ما

يجر جيرارد بضع فتيات حوله. ولكن ضحكهن المتعالي مع شعور

عام بالتسلية، جعلها تعتقد ان اجداد برانت يتقلبون في قبورهم.

حاولت عبثاً مع جيرارد ان يحافظ على جدية الزيارة ورضانة

الموضوع. وشعرت انها تهدر وقتها، فركزت اهتمامها على بضعة

فتيات كن يبدن اهتماماً بما تقول متجاهلة الاخريات اللواتي يقين

يستمعن الى تعليقات جيرارد ونكاته.

واخيراً انتهت الجولة، ونزل الجميع الى الطيقة السفلية لشرب

الشاي في احدى القاعات. ولاحظت فانيسا في عيني امي انزعاجاً

وهي تراقب اثاث البيت الثمين يتعرض للطخات الأيدي. وقررت

فانيسا ان تذهب الى غرفة المكتبة لتطمئن الى حال الأنسة بيرسون.

المعلمة كانت جالسة على المقعد وتبدو في حالة مقبولة.

«اشعراي ظلمتك بتحميلك مسؤولية الفتيات. هل ازعجتك في

شيء؟»

ردت فانيسا:

«ابداً اظن انهم امضين وقتاً مفيداً، انهن يشربن الشاي الآن.

هل ترغيبين ان تنضمي اليهن او ترتاحي هنا واسعى ان يحضر الشاي

اليك؟»

اقترحت ذلك وهي تعلم رد فعل امي ان تجرأت وطلبت. انقاذاً

لها قالت المعلمة:

«وكلا اشكرك. لقد ازعجتك ما فيه الكفاية. انت كنت لطيفة

جداً يا آنسة بديج. لن انسى ذلك ابداً».

ولا فانيسا ستنسى ذلك. وشعرت ان حملاً ثقيلاً ازيح عن كتفها

عندما انتهت زيارة التلميذات. واعترفت ان الزيارة كانت هدراً

للوقت ولم يكن فيها اي فائدة علمية للتلميذات.

وعندما انطلق الاوتوبيس بالفتيات الملوحات بالأيدي، دخلت

فانيسا الى البيت وهي تفهم المعنى الذي قصده برانت في الحرية

الشخصية التي يفضلها بعد انتهاء موسم الزيارات.

القاعة الكبرى استقبلتها بالصمت والفراغ. وكل آثار للفتيات

ازيلت بفضل فريق عمل امي الشيط.

«انا سعيد لأنني عدت الى البيت».

قال جيرارد ضاحكاً وهو يتبعها.



قالت مازحة.  
«انت مرتبطة بعقد يا عزيزتي. لا تنسي ذلك».

«ان التغيير افادني جداً والا كنت الآن امضي بعد الظهر بمثل  
شديد في المقلع».

«وماذا عن برانت؟ ألم ينزعج لغيابك من المقلع؟»  
«ولن يعرف ذلك، الا اذا اخبرته انت. ذهب الى مدينة شيفيلد،  
ولن يكون هنا قبل السادسة».  
«وماذا لو ذكر له الخدم وجودك؟».

«لماذا يفعلون؟ ولنترض انهم فعلوا، ماذا في ذلك؟ انا شريك في  
العمل ويمكنني ان آخذ اجازة عندما ارى ذلك مناسباً».

اذا كان الأمر كذلك، فكرت قانيسا، لماذا لم يخبر برانت على  
الغداء انه لن يذهب الى المقلع لماذا ذهب ثم عاد بعد ساعة مثل  
تلميذ هارب من المدرسة؟ هل يخاف ابن خاله الى هذا الحد؟  
واجابت لنفسها انه لا يخاف منه ولكن ينزعج من ملاحظاته التهكمية  
الساخرة. ولم تلمح.  
لم تر برانت حتى قبل موعد العشاء بقليل. كانت تسير في حمرات  
المتحف في الطيقة الثانية وعندما صادفته على اعلى السلم والتقت  
اعينها، سألتها:

«اخبريني كيف مر الوقت؟».

«جميل جداً، من دون اي مشكلة».

«انت تكذبين يا عزيزتي. انت قلت لنورا انك فرحت لرؤية  
الفتيات تغادرن المكان».

«حسناً انت كنت على حق. وانا كنت مخطئة. واذا قلت لي اني انا  
التي طلبت ذلك، فسوف... سوف...».

«سوف ماذا؟».

سألتها باصرار ضاحك

«سوف استقبل».



فأجاب:

«فعلاً، أنا مستفيد جداً».

غرفة المكتب كانت آمنة من الأزعاج. امضت الصباح تنهي بعض الأوراق غير المكتملة، وبعد الظهر استلقت على المقعد الوثير قرب المدفأة تقرأ كتاب الشعر الخاص ببرانت، ومطمئنة الى ان برانت سيعطيها المجال لترتاح.

فقد قال لها:

«خذني وقتك، لا تنعبي والا ستحولين الى...».

فقاطعته وهي تبسم:

«الى خرقة بالية».

فقال:

«انه التعبير المفضل لمويا».

وأضاف مبتسماً:

«أنت ومويا تبدوان على وفاق. الحيرتني انكما ذهبتا معاً على

الحصان قبل أيام».

سألته في سرعة:

«هل تمنع؟».

بدا متعجباً.

«ولماذا امانع؟ جئت فقط لأقول انك تقسين على نفسك في

العمل. واذا كانت موريا تؤثر عليك تخففين من الاجهاد، سأسعى

ان محضر دائماً بعد الظهر».

تناول سبكاراً واشعلها وجلس الى مكتبه قائلاً:

«فانيسا ماذا هناك؟ تدين عصبية طيلة الاسبوع. هل ازعجك

احد؟».

«كلا».

## ٩- طيش ودموع

نهار الجمعة شعرت فانيسا ان طباع امي لا تحتمل. كانت تصادفها في كل مكان وتتعمد ازعاجها، هي السكرتيرة التي جاءت الى القصر تنجراً وتغير نمط حياة المدبرة. «أخيراً جاء أحد يتمكن منها».

قال بنيت لفانيسا في القاعة الكبرى عندما دخل ويده حطب للمدفأة. ولم يكن كلامه يحتاج الى ابضاح:

«سوف تنسى».

قالت فانيسا هدهوء:

«في كل حال، حين تطاردني لتزعجني لن نجد وقتاً تراقبك فيه يا باتيت وأنا لو كنت مكانك، لاستفدت جداً من الفرصة».



اجابت بفتور وعصية ظاهرة اثار استغرابه فشرحت:  
واظن انك على صواب في اني اجهد نفسي . انا متعبة قليلا . هذا  
كل شيء».

«هل حقاً هذا كل شيء» . ألا استحق ثقتك يا فانيسا؟» .  
«ليس من شيء اخفيه» .

ثم غيرت الموضوع وسألته:

«هل سنعمل معا هذا المساء؟» .

«ولا حاجة لذلك . فعلت ما هو كاف لكلينا» .

في المساء كانت فانيسا تستعد للسهرة الخافلة في القصر . كانت  
احضرت معها ثوبين للسهرة الى راينغز . احدهما اشترته في اليوم  
الذي سبق سفرها . اعجبها جداً على الواجهة . قررت ان ترتديه  
للحفلة . الفستان مصنوع من الصوف الاسود الناعم مقطوع في شكل  
ملائم جداً على جسدها النحيل . الياقة عالية ولكن مفتوحة على  
شكل سبعة من الامام . لم ترتد مجوهرات ، فقط سواراً ذهبياً اثرياً ،  
ربما من عصر النهضة ، هدية من جدتها في عيد ميلادها الماضي .  
أي شك في حسن اختيارها للفستان تبدد مع صفيح الاعجاب من  
جيرارد الذي حيّاها على اعلى السلام بعدما توقف ليشعل سيكارة .  
قال :

«هل سبق أن اخبرك أحد انك رائحة الجمال؟» .

«ان لم يفعلوا ذلك قبلك ، فأنت تعوض عن كل النسيان» .

اقرب منها وأحاط كثرها بذراعه وقال بحميمية وصلق:

«شكراً فانيسا لأنك لم تجعلي احداً يعرف ما عرفته في تلك الليلة .

انت طيبة جداً . وتحفظين الاسرار» .

جعل رأسه يقترب منها ويطيح قبلة على خدها . قبلت تصرفه  
واعتبرته عربون صداقة ولكنها انزعجت لفكرة انها طرف ثالث في

مؤامرة خداع لبرانث .

الضيوف لم يحضروا بعد ، والدعوة كانت ابتداء من الثامنة .  
وكانت السيدة ترنر في غرفة الجلوس تبدو جذابة في ثوب حريري  
اخضر اللون .

«فانيسا ، تبدين جميلة جداً بهذا الفستان» .

قالت نورا وهي ترى فانيسا وجيرارد يدخلان معاً . وأضافت:

«يبدو وكأنه فضل خصيصاً لك» .

سأل جيرارد مازحاً .

«وماذا عني أنا؟ كيف أبدؤ؟» .

صوت برانث وصلهم قبله اذ قال:

«جاذبيتك لا تقاوم» .

والفتت فانيسا لترى الوجه الأسمر والجسم المشوق في بزة  
سوداء وقميص بيضاء . بدا شديد الجاذبية . عندما التقت أعينها  
شعرت ببرود الثلج في زرقة عينيه وأدركت فوراً سبب النظرة  
القاسية . لا بد انه شاهد جيرارد يقبلها على السلام ، وهو يراقبها من  
بعيد . ويعتقد انها هي التي افسحت في المجال لجيرارد لتقبلها .  
سكرتيرته المغتاج على السلام مع ابن عمته في الوقت الذي يمكن أن  
يطل الضيوف ويروهما معاً . هكذا فكرت ، فلا عجب ان بدا بارداً  
وقاسياً . وماذا يمكن ان يفسر ما رآه غير ذلك؟

رنين جرس الباب وقدم الضيوف انقذها .

مويبا بدت ملأى بالحيوية في ثوبها الأحمر . والدها شخص مميز في  
آخر الخمسين من عمره . القسيس وزوجته من عائلة ويلاسي وزوجان  
رائعان في منتصف العمر . وزوجان من عائلة رامسون في سن برانث  
تقريباً . الزوج قصير القامة مثل الجسم وصريح اللسان ، والزوجة  
برندا جميلة ولكن مبالغ في الزينة وتبدو فارغة من الداخل .



اخيراً جاء شاب جلس الى جانب مويبا واسمه لم يكن في الأساس  
على لائحة المدعوين . كان في سن جبرارد ، يحمل خليطاً من الملاحه  
والبشاعة في وجهه تعتبره بعض النساء جذاباً . شعره بني مجعد ويبدو  
انه امضى وقتاً طويلاً يدهنه بزيت تلميع الشعر . قدمه برانت باسم  
ديفيد بيترسون الواصل حديثاً من أميركا . تركه مع مويبا يتحدثان  
وبدا انها تعرفه جيداً . من المكان حيث جلست فانيسا على طاولة  
الطعام رأت الشاب يتحدث باهتمام شديد مع مويبا وينظر اليها  
باعجاب واهتمامه منصب على ما تقول . وبدا لفانيسا ان الشاب  
معجب جداً بمويبا ولكن لا يملك الخبرة الاساسية في اخفاء هذا  
الاعجاب من تصرفاته المكشوفة . وبدا ان مويبا تعبت منه وراحت  
تهتم بشخص آخر قربها ، وعندما يش ديفيد من المنافسة راح يحمق  
في الأواني امامه .

بعد العشاء هب الجميع الى غرفة الجلوس لتناول القهوة ،  
موزعين على المقاعد والارائك . كلهم اصدقاء قدامى وعندهم الكثير  
يتحدثون عنه . برانت كان في زاوية يتحدث مع السيدة ويلاسي التي  
كانت تستفيد من الفرصة لتسأل معونة مالية لمشروع ما . سمعتها  
فانيسا تقول :

«ان المشروع مهم جداً . هو للأطفال طبعاً ولكننا جميعاً نتمتع به .  
سيكون رائعاً ان تقدم الهدايا أنت هذه السنة يا برانت . لا استطيع  
ان اطلب من نورا ان تفعل ذلك مرة ثانية» .

لم تستطع فانيسا ان تسمع اجابة برانت . ولكن وجدت نفسها  
تبتسم للفكرة واذ بوالد مويبا ، برنارد هانسن يبادلها الابتسام ويقرب  
منها حاملاً فنجان القهوة . جلس الى جانبها وقال :

«هل تعرفين ، انك لا تبدين اطلاقاً مطابقة للفكرة في رأسي عن  
خبراء التحف؟» .

ضحكت قائلة :

«أنا امامي الكثير لاكون خبيرة» .

«برانت لا يظن ذلك . قبل أيام قال انه يستطيع ان يرمي نصف  
كتب المراجع طيلة وجودك في القصر ، لان الكتب تجمع الغبار ليس  
الا» .

«ارجو ان لا يفعل ! ان لذاكري حدوداً» .

ثم غيرت الموضوع سائلة :

«أظن عندك مؤسسة في شيفيلد؟» .

«بالحقيقة ، جزء من مؤسسة . أنا المدير الاداري في مصنع حديد  
وصلب» .

«أنا لم أر أعمال حديد من قبل» .

«يجب ان تري ذلك . سأطلب من برانت ان يحضرك وسأعجل  
معك في المصنع . وأعدك ان تكون زيارة مثيرة» .

ابتسمت فانيسا للدعوة غير المتوقعة وشكرته متمنية ان لا يعتقد  
انها تعمدت ما قالت من اجل الحصول على الدعوة . رشفت القهوة  
من فنجانها وراحت نظراتها تجول في الغرفة لتتوقف عند مويبا التي  
اخذت برانت من السيدة ويلاسي ، وراحا يتحدثان قرب النافذة ،  
وبدت مويبا منطلقة في الحوار وبرانت يضحك من قلبه .

شعرت فانيسا بضيق وبلعت ريقها .

«شيء ما يبدو انه يسلي الاثنين» .

قال السيد هاتسن . وأضاف في خفة :

«هما يشتركان في حسن الفكاهة . سمعت ان مويبا تحرك للذهب  
الى ركوب الخيل معاً» .

قالت :

«لم اكن بحاجة الى ضغط كبير لأذهب . عندك ابنة ظريفة يا سيد



هانسن.

«نعم، هي كذلك. صحيح انها دلوعة ولكني أنا المسؤول. فانا لم اتمكن من حرمانها اي شيء. هي قرة عيني منذ وفاة زوجتي. ولكنها اصبحت من حصة برانت، فمئذ ان زارت هذا القصر كطفلة وهي تعتبره بمثابة بيتها».

«هل انتا ابناء المنطقة منذ زمن بعيد؟».

«ان عائلي عاشت في هذه المنطقة، قبل ثمانين سنة. ان مويبا ليست ابنتي. تبنيتها وهي في السن الرابعة. وللأسف ماتت زوجتي قبل بضع سنوات وكان لمويبا مربيان طبعاً ولكن ليس من بدليل لحنان الأم».

هنا كانت وصلت السيدة ويلاسي لتقطع حوارهما. وقالت:

«آنسة بيدج، أرغب في الحديث معك».

«جلست الى جانبها فقام السيد هانسن وقال ما زلت: وأنا ارى عندها رغبة في تحريك القضية. سأتركك لرحمتها يا فانيسا، وأوصيك ان تكوني قاسية».

ابتسمت السيدة ويلاسي وقالت له:

«لا تعتقد انك نجوت مني. أنا اريدك في جوقة الكنيسة».

تركها وتوجه نحو مجموعة نورا. وقالت ويلاسي:

«انها جمعية النساء. كنت افكر لو تستطيعين حضور احدي جلساتنا لالقاء محاضرة».

«محاضرة؟ عن ماذا؟».

«عن التحف طبعاً. ان سيدات في جمعيتنا يملكن بعض التحف ويرغبن في ان تلقي نظرة عليها وتعطين رأيتك. سنسرهن نصيحتك».

لم ترغب فانيسا في الذهاب فقالت مدعية حجة:

«ان وقتي ليس ملكي يا سيده ويلاسي لاجييك بنعم. يجب ان اسأل برانت اولاً».

«أنا سألتها يا عزيزتي. وهو يقول ان الامر يعود لك».

وجدت فانيسا نفسها مجبرة على القبول فقالت:

«حسناً، متى تريدان ان احضرا؟ وأين؟».

«هل نقول الاسبوع المقبل؟ الثلاثاء؟ نورا ستحضرك معها».

وهذا الترتيب ايضا تكون أعدته سلفاً، ان هذه المرأة ملتزمة

بمشاريعها والان فهمت ماذا قصد السيد هانسن عندما نصحتها ان

تكون قاسية. يبدو انها مشهورة في التغلب على كل الاعتراضات. ان

زوجة القسيس تبدو مأخوذة بكامل نشاطات القرية. نظرت فانيسا

حولها بحثاً عن مهرب من حديث المرأة. وجدت ديفيد وحده جالساً

الى البيانو بعيداً عن المجموعة، يطرق على اصابع البيانو نوطات

خافتة لا معنى لها.

قطعت فانيسا الحوار مع السيدة ويلاسي وقامت وهي تقول:

«أرى واحداً من دون قهوة».

وذهبت الى ديفيد وقدمت له فنجان قهوة جديداً مع ان فنجانه

كان قريباً، وسألته:

«كيف وجدت الولايات المتحدة؟».

«آه، اعجبتني جداً، في البداية كل شيء بدا جميلاً، الأبنية،

الطرق، اسلوب الحياة. ولكن في بحثك عن معيشتك تعادين على

ذلك ويصبح كل مكان يشبه الآخر».

استندت الى البيانو وتابعت الحوار معه:

«اذن رحلتك كانت رحلة عمل».

«نعم، ذهبت مع فريق عمل لدراسة التقنية الاميركية في الادارة.

أنا اشتغل لمؤسسة والد مويبا. هو بالحقيقة سحب الفرصة من آخرين



واعطاني اياها، ربما عن غير حق، لاني قريب العائلة وأزور المدير الاداري دائما، اهلي وعائلة مويأ اصدقاء و...»

نظر الى حيث مويأ وتابع:

«ليست القرابة مقيدة لي في كل حال».

وفكرت انه لو لم يكن مهتماً بالفن الاخرى لكان امضى مع فانيسا وقتاً جيداً خلال السهرة.

سالته:

«ماذا كنت تحاول أن تعزف حين جئت اليك؟ بدت لي وكأنها اغنية من المسرحية الغنائية الجليدة، اظن اغنية، ساكون لك دائماً،

هل أنا على حق؟»

ضحك ديفيد.

«عندك اذن لاقطة كنت تحاول ان اجمع اللحن. هل تعزفين انت على البيانو؟»

«قليل جداً».

واذ بجيرارد خلفها يقول:

«أنا أيضاً اعزف. نصبح ثلاثة. ماذا لو تؤلف مجموعة؟»

وضع يده على كتف فانيسا وشدها للجلوس الى جانبه على مقعد البيانو ثم جلس هو كذلك. صاروا ثلاثة على المقعد الواحد. فعلق على ذلك جيرارد:

«في المرة المقبلة سنطلب مقعداً كبيراً. تعالوا تعزف معاً نحن الثلاثة. هل نبدأ؟»

ضرب على البيانو ضربيات مبالغ. واذ بالأصوات خلفهم تتضاءل.

قالت فانيسا موزعة بين الغضب والابتسام:

«توقف، الجميع ينظرون الينا».

«عظيم! هذا ما احبه، أن اكون نقطة انتباه الجميع. ديفيد، الفتاة مترددة، هل نعزف أنا وأنت؟»

«كلا لا اعزف امام جمهور».

اجاب ديفيد ببرود وانسحب من الكرسي وهو يتابع:

«وسأتركك تفعل ذلك وحدك».

حاولت فانيسا ان تلحقه ولكن شدها جيرارد من يدها قائلاً:

«تعالي يا فانيسا، اتركه وشأنه».

وعندما ابدت انزعاجاً قال:

«حسناً يا جيانة، سأنقذ المشهد».

وانطلق في العزف. فوجئت فانيسا ان عزفه مقبول. هو اختار

الأغنية التي كان يحاول ديفيد ان يعزفها قبل ان يلتحق بهم. حيث

كانت فانيسا تستطيع رؤية وجه نورا مع السيد هاتسن على

المقاعد الكبيرة. وجهها كان خالياً من التعابير. فانيسا لم ترى

برانت، ولم ترغب كثيراً ان تعرف أين هو. ثمنت لو ان جيرارد لم يختار

هذه الليلة ليلعب دور الأبله، على الأقل ان لا يمرجها معه. فكرت

انه يبالغ احياناً في تصرفاته.

انتهى من العزف وصدق له الحضور اكثر مما يستحق.

ولما طلبت منه برندا رامسون ان يعزف اغنية ثانية قال:

«اعتذر لا استطيع ان انزل عند رغبة الجماهير».

ديفيد بقي طيلة السهرة مع فانيسا، ربما وجد في رفقها تعويضاً

عن الفتاة التي خذلته. وقبل ان يغادر المكان مع عائلة رامسون في

الحادية عشرة والنصف اقترح لقاء في المدينة في مرة مقبلة. لم تجب

فانيسا بتأكيد اللقاء بل تركته مفتوحاً لأنها مأخوذة جداً بالعمل،

وسرت عندما قبل تبريرها. لم تتحمس لفكرة ان تكون مع رجل

يتكلم طيلة السهرة عن فتاة اخرى مهما كان اعجابها هي بمويأ.



عائلة ويلاسي ايضا غادرت القصر بعد وقت قصير. ولكن السيد هانسن وابنته لم يكونا في عجلة. ملا برانت فناجين القهوة من جديد وقدم للجمع، ومنهم فانيسا التي لم ينظر اليها وهو يفعل ذلك. قال برنارد هانسن:

«جاء دورنا، أليس كذلك يا مويبا؟»

اجابته مويبا وكأنها آتية من بعيد:

«ماذا قلت يا ابي؟»

«جاء دورنا.»

«دورنا لماذا؟ لنرحل؟»

«كلا بل لنحبي حفلة عشاء في البيت. ماذا لو اتينا بعد خمسة عشر يوماً من الآن؟»

قالت نورا:

«سأجلبها في المفكرة.»

ونظر برنارد الى حيث جلست فانيسا صامته قرب المدفأة وقال: «انت ايضا مدعوة يا عزيزتي. ربما نستطيع ان نحفي جيرارد على العزف كما فعل الليلة. لم اعلم من قبل انك تعزف جيداً يا جيرارد.» وغادر السيد هانسن وابنته المكان بعد نصف ساعة من منتصف الليل ورافقهما برانت الى الخارج.

تساءل جيرارد قائلاً:

«أنا الى السرير الآن، شكراً لله ان غداً السبت، اعني ابتداء منذ قليل.»

«كلا لن تذهب قبل ان اقول ما أريد قوله لكليكما.»

قالت نورا بغضب بارد، بدا نموذجاً من عائلة مالوري المتسلطة. وأضاف:

«يا جيرارد، متى ستوقف عن التصرف مثل ولد طائش ومتى

ستبدأ بالنضوج؟ عزفك السخيف للفت الانتباه ليس ما يجب توقعه من شاب في الخامسة والعشرين.»

ثم نظرت الى فانيسا وقالت:

«وأنت يا فانيسا، استغرب كيف شجعته على ذلك.»

«اتركي فانيسا خارج الموضوع.»

قال ابنها فاقداً فجأة اعصابه.

«اذا كنت تعتقد اننا شجعتني فأنت لا تعرفينها جيداً. واذا كنت تسعين الى مشادة عائلية، فأنا المقصود هنا ولا أرى من الملائم

ان تشملني فانيسا معنا.»

لمعت عينا نورا الزرقاوان وقالت:

«لا تتحدث معي هكذا. انا لا اقبل من احد ان يتحدث معي

بهذه اللهجة خصوصاً ابني!»

وقفت فانيسا وهي ترتجف وقالت:

«سأذهب.»

سارت حتى وصلت الى الباب لتقف مع دخول برانت. فهم ماذا جرى من رؤية وجهها الأبيض ووجهي الآخرين. بدا هو الآخر

قاسياً. تنحى قليلاً وفسح في المجال لمروور فانيسا.

وعندما اصبحت خارج الغرفة، ركضت نحو الطابق الثانية ولم تتوقف الا في غرفتها وهي دامعة العينين.



المقبل . ارجو ان لا اظهر في مظهر الجاهلة .

«انت شاطرة جداً يا فانيسا وانا واثقة من قدرتك على التصرف» .  
وافترقت المرأتان ، ذهبت نورا الى غرفة المكتبة ، وفانيسا الى غرفة  
المكتب . نقرت على الباب بتردد . تعلم ان برانت في الداخل . كان  
صامتاً خلال الفطور وتساءلت ان كان ما يزال غاضباً منها . مجرد  
الفكرة ان يكون رأها وجيرارد يقبلها جعلها تشعر بالذنب على رغم  
براعتها .

«ادخلي» .

قال لها ، فشعرت بانقباض في قلبها . كان جالساً الى المكتب يقرأ  
بعض الرسائل التي وضعتها له على مكتبه في اليوم الفائت .  
سألته :

«هل تريد ان نعمل معاً هذا الصباح؟» .

فكر قليلاً من دون كثير اهتمام وقال :  
«تستطيع ان نصف المتحف الطويل في الطبقة الثانية . اقترح ان  
اغير الترتيب قليلاً» .

اذن لن يذكر ما حصل بالأمس ، فكرت بارتياح واقفلت الباب  
وجلست الى مكنتها .

قالت :

«سأحضر بعض الورق ولائحة اللوحات» .

تعجب برانت وقال :

«لم اكن اعلم ان ثمة لائحة باللوحات» .

«اعددت واحدة الاسبوع الماضي . اذ انك قلت مرة انك تفكر  
باجراء بعض التعديلات» .

«ألا يغيب عن بالك شيء؟» .

ثم اضاف بنبرة جديدة :

## ١٠ - الوقت يشفي الجراح

صباح اليوم التالي غادر جيرارد القصر باكراً من دون ان يتناول  
طعام الفطور . بانيت ، الذي رآه يخرج لم يعرف موعد عودته . غيابه  
خيم صمتاً على الفطور الذي شارك فيه برانت ونورا وفانيسا .

بعد الفطور قالت نورا لفانيسا على انفراد :

«انا اعتذر لما قلته لك في الليلة الماضية . كان يجب ان اعلم انك  
لست من النوع الذي يدخل طرفاً في عمل صبياني . ارجو ان تنسي  
ما حدث» .

فانيسا تجاوبت طبعاً . لم يكن في طبعها حمل اي ضغينة . ابتسمت  
للمرأة وبلياقة غيرت الموضوع . وقالت :

«السيدة ويلاسي حجزتني لاجتماع الجمعية النسائية الثلاثاء



«هل تفهمن الناس حسب اصنافهم ومن ثم تنظرين اليهم على اساس هذه الفهرسة؟»

اجابت ببطء:

«لا اظن اني افهم.»

«كيف لا تفهمين؟»

واضاف ساخراً:

«خذني مثلاً ليلة امس، في لحظة كنت تلعبين دور المهرج مع جيرارد، وفي لحظة ثانية كنت تنظرين الى ديفيد وكأنه الرجل الفريد في العالم وتجعلينه يصدق ذلك. اخبريني، هل يرضي غرورك ان يكون الرجال تحت اقدامك؟»

لم تصدق ما تسمع، قالت بنبرة منخفضة:

«انت تقول كلاماً غير واقعي. ديفيد كان يخبرني عن رحلته الى اميركا.»

«كل ذلك الوقت؟»

«لم اجد احداً يتحدث اليه.»

شعرت بابتسامته الساخرة فقالت متزعجة:

«ماذا كنت تريدني ان افعل، ان اتركه جالساً وحده؟»

«كان ذلك افضل من ان اسمع ملاحظة من امرأة مثل برندا رامسدن تعلق بأن عندي سكرتيرة تطمح للمستقبل.»

«آه، فهمت الآن. اذن لا يفيد ان نكرت بأن ما كنت ابحث عن عريس غني.»

«اذا كنت كذلك، فأنتك تضيعين وقتك مع ديفيد. فهو يحتاج الى بعض الوقت قبل ان يتمكن من اعتبار نفسه قادراً على الاستقرار. الاشخاص الذين مثل ديفيد يبدأون حياتهم من اسفل السلم ويحتاجون الى وقت طويل قبل ان يصلوا الى ما يصبون اليه.»

في كل حال انا لا اظن انك كنت مهتمة بديفيد بل كنت تستعملينه لثبيري جيرارد، ام انك تنكرين ذلك ايضاً؟»

وضعت فانيسا الأوراق جانباً. وفوجئت ان يديها لا ترتجفان. شعرت انها غريبة عن الكلام الذي يقوله برانت وكان الموضوع يتناول امرأة غيرها. واذ به يقول لها:

«نعم، ماذا تقولين في ذلك؟»

اجابت ببرود:

«هل يتبع نكراتي؟ يبدو انك جعلت كل الاشياء مفهومة سلفاً وجاهزة للقطع.»

«اذن استطيع القول ان جيرارد اضاف جمجمة جديدة وعلقها على خاصرته. هذا هو كل ما تعني له العلاقة مع امرأة. انه ليس مغرماً بك مستقبلاً.»

«وفكرت فانيسا كم هو بعيد عن الحقيقة وكم هو مخدوع بالظواهر. ووجدت نفسها تقول:

«حسناً، انا اعرف ذلك. الست انت الذي قلت مرة ان الحب يمكن ان يسبب المأ بقدر ما يسبب سعادة؟»

وغادرت الغرفة بصمت وهدهو.

مر قبل الظهر، وجاء الغداء مزعجاً لفانيسا. برانت كان صامتاً طيلة الوقت. وتورا اختارت ان تتجاهل الاجواء المتوترة، وفضلت ان تتحدث في مواضيع جانبية.

بعد الظهر تنزهت فانيسا في الحديقة مع الكلب توبر وعادت في موعد الشاي. وجدت تورا وحدها في غرفة المكتبة، بادرتها:

«برانت ذهب الى المدينة، يبدو أننا ستمضي الامسية وحدنا.» صباح الأحد، تناول برانت فطورها باكراً وانزوى في غرفة المكتبة. لم تسأل فانيسا ان كان يريد لها للعمل. فكرت انه اذا كان



يربدها يستطيع ان يأتي اليها ويخبرها. امضت الصباح مع نورا في المكتبة تساعدها في لف خيطان الصوف.

بعد الغداء ارتدت ثياب ركوب الخيل وتوجهت نحو الاسطبل. جورج حياها قائلاً:

«اعتقدت انك هجرتنا. نهاية اسبوعين مرا ولم تأتي في جولتك الصباحية».

اعد لها الحصان وقال:

«لا اظن انك كنت تتجنيين المعلم في جولته على الحصان».

ليس كذلك؟».

اجابت:

«فكرت انه يفضل ان يتجول وحده».

«الاراضي هنا واسعة جداً وانت تعرفين ذلك».

وصعدت فانيسا بلباقة على دابيس، وقيل ان تستعد للانطلاق.

دخل برانت بشباب القروسية.

قال:

«ولا بأس يا جورج، انا سأعد حصاني. لست مستعجلاً».

تجولت فانيسا وحدها في الحقول، تاركة دابيس تختار طريقها

وترعى الاعشاب يهدوء. فكرت ان الحياة في رالينغز اصبحت

كابوساً. هي لا تستطيع ان تمضي خمسة اشهر اخرى تحاول خلالها

عبثاً ان تخفي حياً قوياً نحو برانت. وكذلك لا تستطيع احتمال فكرة

ان برانت يظن خطأ انها مغرمة بجيرارد. يجب ان ترحل، وفي اقرب

وقت ممكن. صحيح ان هناك عقداً بالعمل، ولكنها باتت تعرف

برانت جيداً فهو لن يجبرها على تنفيذ القانون ان حسمت له ورغبها في

الرحيل. وقررت ان تخبره قرارها خلال الاسبوع الجاري.

عاد سيد رالينغز الى البيت في السادسة والنصف وصعد فوراً الى

الطيفة الثانية.

وبعد نصف ساعة تقريباً رآته فانيسا، من شق باب المكتبة حيث

كانت تقرأ كتاباً، ينزل السلم في ثياب السهرة. راقبه يقف قليلاً

ويشعل سيكارة ويظهر وجهه الاسمر منيراً. يعيد الولاة الى جيبه

وينظر مباشرة نحو فانيسا. امتلكها شعور ان الرجل كان يعرف

بوجودها هناك وعراقبتها له. تحرك برانت من الخارج نحو باب المكتبة

وسألها:

«هل رأيت عمي؟».

«لم ارها بعد موعد الشاي، اليس في غرفتها؟».

«لو كانت في غرفتها ما كنت سألت. لا بأس، ارجو ان تخبرها اني

ذهبت عند عائلة ماكستد».

واضاف بسرعة:

«ليلة سعيدة».

وخرج.

نحو الثامنة، عندما دق ناقوس موعد العشاء، لم تظهر نورا في

غرفة المكتبة ولا في غرفة الجلوس ولا في غرفة الطعام. جلست فانيسا

وحدها الى طاولة الطعام وهي تستغرب تخلف نورا. انها دقيقة جداً

في مواعيدها ولا تتخلف من دون اعلام مسبق.

سألها باكستر ان كانت ترغب في تناول العشاء، اجابت:

«ونتظر السيدة ترنر».

وبعد عشر دقائق نظرت الى باكستر، فوجدته يشاركها قلقها.

قال:

«هل تظنين انه من المناسب ان يذهب احد منا الى غرفتها ويرى

ان كان شيئاً سيئاً حصل؟ ليس من عادات السيدة ترنر التأخر».

قامت فانيسا قائلة:



«سأذهب بنفسى إليها، ربما تكون مريضة».

ولكن نورا لم تكن في غرفتها. عادت فانيسا ادراجها وهي قلقة على ما يمكن ان يكون حصل. ان نورا يمكن ان تخرج في زيارة طبعاً وتتناول العشاء مع اصدقائه، ولكنها تخبر عن تحركاتها، على الاقل تتصل هاتفياً. انها من النوع الذي ينشدد جداً في هذه المسائل وتطلب من كل افراد الاسرة الالتزام بهذه العادة. ولكنها اليوم لم تغل شيئاً. خلال موعد الشاي لم تتحدث عن رغبتها في الذهاب الى اي مكان. تذكرت فانيسا ان نورا قالت شيئاً عن كونها متعبة وتحتاج الى راحة. ولكن السرير في غرفتها لم يكن مستعملاً منذ الصباح.

تناولت فانيسا العشاء وحدها. قال باكستر بقلق..

«ولا استطيع ان افهم. ليس من عاداتها الخروج من دون ان تخبر احداً. اذكر انها مرة عقلت بالثلج في سيارتها ولم تستطع ان تعود. مشت ثلاثة اميال لتجد كشك هاتف وتتصل بنا وتخبرنا عن سبب تأخرها. لا بد ان شيئاً سيئاً حصل. انا متأكد من ذلك».

هبت فانيسا من مقعدها قائلة:

«سوف اتصل بالسيد مالوري».

وجدت رقم عائلة ماكستد في الدليل. اتصلت به. وجاء الجواب:

«السيد مالوري ما يزال يتناول طعام العشاء. هل استطيع ان انقل اليه رسالة شفوية؟».

ترددت فانيسا قليلاً، ثم قالت:

«بل اريد التحدث معه شخصياً».

«من نقول له؟».

«فانيسا، سكرتيرته».

مر بعض الوقت قبل ان تسمع صوت برانت على الهاتف:

«فانيسا، ماذا هنالك؟».

شعرت باهتمامه. ربما يكون فكر ان امرأ معقداً حصل. ماذا نقول له؟ ان عمته، الامراة الناضجة الذكية، لم تعد الى البيت بعد، والساعة لا تتجاوز التاسعة؟

لاحظ صمتها فقالت:

«فانيسا، هل انت بخير؟».

«نعم».

وعرضت له الوضع كما هو. وبعد صمت قليل قال:

«هل ذهبت الى المرآب لتتفقدى سيارتها؟».

شعرت فانيسا انها بلهاء لانها لم تفعل ذلك. اعترفت:

«كلا، لم افكر بالامر. طبعاً ذلك العمل منطقي وكان يجب ان

اقوم به اولاً».

وسألتها:

«ماذا عن الخدم؟ هل كلهم لا يعرفون اين هي؟».

مرة ثانية شعرت فانيسا انها تسرعت بالانصال به من قبل ان تسأل

كل الخدم والعاملين في القصر. ولكنها قالت:

«لم استجوبهم بعد. باكستر قال ان احداً لم يبلغه ان السيدة تترنر

لن تكون على العشاء. وانا توقعت ان تخبره امي لو كانت تعلم

بالامر».

توقفت قليلاً ثم اضافت:

«برانت، انا اعتذر ان كنت جعلتك تقلق من دون سبب. كان

يجب ان اقوم اولاً بكل الاشياء التي قلت عنها؟».

وفوجئت به يقول:

«انا مسرور لانك اتصلت بي يا فانيسا. ان تصرف نورا ليس

طبيعياً. سأكون في البيت خلال خمس عشرة دقيقة».



الثقة فانيسا على الباب لتخبره ان سيارة نورا ليست في المرآب وان احداً من الخدم لم يرها بعد تناول الشاي . وان فانيسا كانت صعدت الى الطابق الثانية بعد موعد الشاي ولم تر نورا منذ ذلك الوقت . لم يضع برانت وقته في مراجعة ما قامت به فانيسا . بل اخذها من يدها الى غرفة المكتبة واصر ان تجلس ، قائلاً هدهو :  
 «الآن ، اخبريني . قلت انك آخر من رآها في موعد الشاي . فكري جيداً ، هل قالت اي شيء يمكن ان يتيرنا؟»  
 «فكرت بالموضوع كثيراً . كلا يا برانت ، لا اذكر اي شيء يفيد عن وجودها . قالت انها متعبة وانها تحتاج الى راحة . ولكن هذا كل شيء . انا تقريباً متأكدة من ذلك .»  
 «ماذا تقصدين بكلمة تقريباً؟»  
 «في الحقيقة انما لم اكن انصت اليها . كنت مشتتة الفكر . تعرف كيف احياناً يتحدث شخص وانت تستمع اليه واهياناً تتجاوب معه ، ولكن في وقت لاحق لا تستطيع ان تضع صورة حقيقية للمناقشة التي دارت.»  
 قالت ذلك من دون ان ترفع رأسها نحوه . اجاب :  
 «نعم ، اعرف ماذا يعني ذلك.»  
 واذف :  
 «عندما قالت انها تحتاج الى ان ترتاح هل اضافت شيئاً؟»  
 «هل يمكن ان يكون مكاناً للمراحة غير غرفتها؟»  
 بدا برانت يفكر ثم يقول :  
 «يمكن ان تكون ذهبت الى ... كلا ، لا اظن انها ستذهب الى هناك . انها لم تذهب الى البيت الزجاجي منذ وقت طويل.»  
 البيت الزجاجي ؟ انه بيت صغير من زجاج يطل على مناظر طبيعية خلابة . تذكرت فانيسا ان نورا نتمتت شيئاً عن الجانب الآخر من

البحيرة . قالت :

«انها كانت تقول ان منظراً جميلاً للقصر في الجهة الاخرى من البحيرة في مثل هذا الوقت من السنة؟»  
 ووجدت فانيسا نفسها تنفخ وتقول باصرار :  
 «انها هناك ، بالطبع انها هناك.»  
 لم يعارضها برانت . بل قال :  
 «ان المشي الى هناك بعيد سذهب في السيارة ونستعمل الممر الفرعي الذي ينتهي في الغابة حيث البيت الزجاجي.»  
 فرحت فانيسا لانه لم يستثن ذهابها معه . وخلال لحظات كانا في السيارة ، في الممر الفرعي المليء بالحجارة الصغيرة . بدا ان برانت لا يكثر بالاضرار التي يمكن ان تحدث للسيارة .  
 بعد نحو ست دقائق اوقف برانت السيارة بين اشجار كثيفة . ونزل من السيارة قائلاً :  
 «ابق هنا . ان الليلة باردة جداً . وانت لم تحضري معطفاً.»  
 ومع ان لهجة كانت أمره إلا انها تجاهلت لأول مرة اوامره ونزلت من السيارة قائلة :  
 «سأني معك . الثوب الذي ارتديه يرد البرد كفاية.»  
 واشعل برانت بطارية ضوء وسارا معاً في الغابة . سمعا صوت استغاثة :  
 «انها نورا.»  
 قال برانت بتأكيد وارتياح :  
 «اسرع ، المكان ليس بعيداً.»  
 البيت الزجاجي من جهة التلة الكثيفة بالاشجار ، يطل على القصر من خلف البحيرة . وظهرت نورا على احدى سلالم البيت ترتجف من البرد والألم .



«شكراً لله! ظننت اني سامضي الليلة هنا. وقعت عن السلام.  
اظن اني كسرت عظمة الرسغ».

خلع برانت سترته واحاط بها عمته. وتفحص رجلها.  
تمتعت نورا:

«واذن تذكرت ما قلت يا فانيسا. كان ذلك الأمل الوحيد الذي  
انتظرته، ان يخطر ببالك اني قد اكون في البيت الزجاجي».

ابتسمت فانيسا وقالت يارتياح:

«وما كنت سأعرف ذلك لو لم يذكر الموضوع برانت أولاً».

وضع برانت ربطة عنقه حول الرسغ وقال: «الآن ارجو ان  
يساعدك ذلك حتى الوصول الى البيت. انا لا اعتقد ان الرسغ  
مكسور. ربما التواء بسيط».

فقلت نورا متأللة:

«بسيط؟ لو كنت مكاني لما تجرأت على استعمال هذه الكلمة».

في البيت التفتهم امي على الباب بوجه قلق:

«شكراً لله، وجدناها».

وفيا برانت يحمل عمته على السلام راحت امي تقول:

«آه يا سيدة ترنر، قلقتنا جداً عليك. انت مصابة بأذى ايضاً؟».

ردت نورا:

«توقفي عن ذلك يا امي، وأعددي لنا الشاي».

وأضافت ناظرة صوب فانيسا التي توقفت في القاعة.

«تعالي معنا الى الغرفة يا فانيسا».

واخيراً في غرفتها الدافئة استراحت نورا في السرير، واتصل  
برانت بالطبيب ثم قال:

«سيكون هنا بعد قليل».

ونظر الى فانيسا مبتساً بدهء جعل قلبها يخفق في شدة. ثم قال

لعمته.

«هل تشعرين بتحسن الآن؟».

«سأشعر بتحسن عندما يصبح الشاي في داخلي، انا في الحقيقة  
جائعة جداً».

فقال برانت:

«امي تحضر كل شيء بلا شك».

واضاف:

«فانيسا فهمت منك انك متعبة. ما الذي جعلك تسيرين كل  
هذه المسافة؟».

«هل قلت اني متعبة؟ ربما كنت اترجم افكاري عالياً».

واعادت ظهرها الى الورا مستتدة الى الارائك وقالت:

«لم يكن تعاماً جسدياً. فقط شعرت انه كفاي ما عانيت من مرارة  
الماضي. هل تفهم يا برانت؟».

«نعم افهم».

قال ببساطة ويحنان.

وبعد طرق على الباب دخلت امي بطبق مليء بالطعام والشاي.

وبعد قليل وصل الطبيب ووجد في الرسغ التواء قاسياً. ونصحها ان  
لا تتحرك من سريرها لبضعة ايام.

دعا برانت الطبيب لتناول الشاي في غرفة الجلوس. وخطرت

فانيسا غرفة نورا تاركة امي تساعد معلمتها في تغيير ثيابها.

بعد قليل نزلت فانيسا الى تحت، والتفت ببرانت يودع الطبيب  
على الباب، ثم يستدير نحوها ويقول:

«اهلاً بك، ظننت انك ستذهبين فوراً الى سريرك. كنت لينة  
متعبة اليس كذلك؟».

قالت:







وهي تسير الى غرفتها لم تلاحظ جيرارد في اي مكان. فكرت انه ربما توجه مباشرة الى سريره. لم تتوقع ان يرجع الى البيت بعد الكلمات النابية التي توقعت ان يكون تبادلها مع برانت. بلغت فانيسا غرفتها وفتحت الباب واذا بجيرارد في الداخل يستقبلها واقفاً.

«ماذا تفعل هنا؟»

«قلت بانفعال»

ابتسم جيرارد:

«هل بدأ رأي اهلي عني يؤثر فيك؟ فكرت انك الشخص الوحيد الذي استطع ان اعتمد عليه، ولا يخشى من سمعي».

قالت:

«انها سمعتي التي كنت افكر فيها».

واضافت:

«كل ما امله ان لا يكون راك احد تدخل غرفتي في مثل هذا الوقت من الليل».

«اعتذر ان ازعجك يا عزيزي. لم افكر في ذلك. اردت فقط ان اتكلم معك في موضوع».

«لم تستطع الانتظار حتى الصباح؟»

«ليس من وقت في الصباح للتحدث معك على انفراد. فانت دائماً مأخوذة».

رأت في وجهه جدية وكآبة. صمتت. فقال:

«هل تريدني مني ان اذهب؟»

«كانت تفضل لو لم يأت. ولكن لم تستطع ان تقول له ذلك».

ابتسمت بتردد وقالت:

«الآن بما انك هنا تستطيع ان تقول ما في داخلك».

اشعل سيكارة ونظر اليها قاتلاً:

«هل توقعت، يا فانيسا، الا اعود الى رالينغز؟»

«كلا. اعرف انك ستعود. انت قلت لي اول مرة التقينا فيها يا

جيرارد انك تعيش هنا لانك لا تستطيع ان تعيش في المستوى ذاته في

مكان آخر. لم افكر انك ستدخل عن ذلك بسهولة».

«انت تقولين الاشياء ببساطة يا عزيزي».

«اقولها لاني احب ان اقول لك الحقيقة ولاني لا اظن انك سطحي

مثلاً محب ان تظهر للاخرين. وقبل ان نتابع حديثنا احب ان اخبرك

ان والدتك تعرضت لحادثة».

الاعلان المفاجيء انعكس انتفاضة من جيرارد سأل:

«ماذا حدث؟»

«لا بأس، ليس الأمر خطيراً».

اخبرته القصة بكاملها. شعرت باهتمامه وقلقه. اخذ حريته

بأمر والدته.

«هل تعتقد ان الوقت متأخر لأذهب اليها ولراها؟»

«اتوقع ان تكون نائمة. كانت متعبة جداً. لذا لا تورطها في

الصباح قبل الفطور؟ ستخرج لرؤيتك».

«نعم سأفعل».

ولم يحاول ان يغادر الغرفة بل اراد ان يتحدث في الموضوع الذي

جاء من اجله وبدأ:

«فانيسا، اريد ان آخذ رأيك في...»

ولم يتمكن من المتابعة، اذ امام الباب القصر ظهر برانت في

حقيبة يد فانيسا!



نظر إليها نظرة شخص يعتذر للموقف الذي وضعها فيه،  
ولكن اطاعها وخرج من الغرفة ماراً قرب ابن خاله من دون ان  
يقول شيئاً.

بقي برانت واقفاً في مكانه بازدياء وقال:

«سألت اذا كتبنا معندين على هذه اللقاءات؟».

فأجابته وهي تسعى ان تضع كامل الموقف في اطاره  
الصحيح:

«الا ترى ان كلمة لقاءات تقليدية جداً؟».

«ربما، ولكن استعملها لاني رجل احمل قيم التقاليد بمعناها  
الاخلاقي، وظننت لفترة انك ايضاً تشاركيني هذه القيم. انا  
كنت دائماً احسب نفسي قادراً على تبيين صفات الناس ولكن  
معك كنت بعيداً جداً عن الحقيقة».

حدقت فيه وشعرت انها تكره جبروته وقدرته على جرح  
الأخرين وتكره جعل حبيها له يبدو من دون امل. قالت:

«الا تحمل الاشياء اكثر مما تحمل؟ لم تحصل هذه اللقاءات  
من قبل، ولن تحصل في المستقبل».

«من الافضل ان لا تحصل».

قال ذلك ببرود تام تاركاً حقيبة يدها على الطاولة قرب  
الباب، وذهب.

نورا رفضت في اليوم التالي ان تبقى في سريرها. وهددت ان  
تسير وحدها ان لم يساعدها احد. حملها برانت الى المكتبة بعد  
الفطور ووضعها على مقعد مريح قرب المدفأة قبل ان يغادر  
المكان مع جيرارد الى المقلع.

فانيسا شربت مع نورا القهوة التي حملتها امي المرححة لأول  
مرة. اذ يبدو انها نسيت شعورها العدواني نحو السكرتيرة

## ١١ - اهلاً بك في بيتك!

برانت كان الاول في قطع الصمت:

«هل انتما معنadan على هذه اللقاءات؟».

قال ذلك بنبرة قاسية ولم يدع المجال لأحد في الاجابة اذ  
تابع:

«جيرارد، انا الآن كنت عند والدتك. هي صاحبة وترغب  
في رؤيتك».

تردد الشاب الاصغر ثم قال:

«برانت...».

ولكن فانيسا قاطعته:

«لا تقل شيئاً جيرارد. اذهب لرؤية امك».



الجديدة فراحت تبسم وتجعل الاجواء رطبة.  
«تبدين متعبة».

قالت نورا لفانيسا عندما اصبحتا وحدهما في الغرفة.  
واضافت:

«علمت ان عراقاً كلامياً جرى بينك وبين برانت الليلة  
الماضية».

«بالكاد يمكن تسمية ما حصل عراقاً. لا يمكن ان اتعارك مع  
ابن شقيقك. ان الشخص مع يسمع ويقبل ما يقول من دون  
مناقشة».

وحاولت ان تبسم وهي تضيف:

«لم يكن الامر مهماً. ولا اظن ان مضاعفات ستتج عن  
ذلك».

«جيرارد اخبرني ماذا حصل. لا تحكمني على برانت بقسوة.  
عنده لسان جارح عندما يغضب، اعرف ذلك، ولكنه لا يعني  
ما يقوله».

«ومن منأ لا يغضب؟».

قالت مويبا وهي تدخل الغرفة وتلتقط العبارة من آخرها.  
جلست على احد المقاعد وسالت:

«كيف حال الجريحة؟ برانت اتصل بنا واخبرنا ماذا حصل.  
كنت اريد ان احضر معه الليلة الماضية لكنه لم يقبل».

ثم نظرت الى الطاولة حيث القهوة وسالت:

«هل في الابريق قهوة؟ انا اتحرق لفنجان».

ردت نورا على سؤالها الاول:

«ان الجريحة تتحسن، شكراً. واعتقد ان برانت فعل  
المناسب بعدم قبوله ان تزعمجي نفسك بالامس. واظن، ان

امي توقعت حضورك فضاغت كمية القهوة».

ضحكت مويبا وقامت تصبب لنفسها فنجان قهوة. بدت  
جميلة جداً بثوبها الازرق وشعرها الاشقر. وقالت:

«انا دعوت نفسي الى العشاء ايضاً. رأيت ايمي في طريقي  
الى الغرفة وابلغتها ذلك. ووالدي سيأتي ليراك بعد الظهر».

فردت نورا:

«هل سيحضر حقاً؟ اذن سيكون عندنا الكثير لتحدث  
عنه».

وبعدما انتهت فانيسا فنجانها قالت:

«يجب ان اذهب للعمل. اظن ان الرزمة الثانية من البريد  
وصلت وانا لم انته من الاولى بعد».

في مكتبها راحت تراجع البريد، وجدت رسالة خاصة  
لبرانت، وضعتها على مكتبه بحيث يتمكن من ملاحظتها عند

وصوله. وتابعت عملها مغلقة ذهنها عن اي شيء غير العمل.  
جو الغذاء كان مرحاً. برانت لم يكن موجوداً، ونورا

اخترت ان تتناول طعامها في المكتبة. وجيرارد لم يكن منزعجاً  
اطلاقاً من ان يكون محاماً بأجل فتاتين على الارض يسليهما.

لم تستطع فانيسا، مستمعة الى الاثنتين يتكلمان ويضحكان،  
الا ان تفكر انهما يلائمان بعضها جداً. كلاهما على الموجة

ذاتها، يملكان الحماس ذاته للعيش. ومن جهة ثانية لم تستطع  
ان تتخيل مويبا متزوجة من برانت، تقاسمه ذوقه في الموسيقى

والقراءة والمسرح، او هو يعطي اذنيه وعينه للموسيقى  
الصاخبة وللرسوم التجريدية.

جيرارد غادر البيت الى القلع نحو الثانية. رافقه مويبا حتى  
الباب ثم دخلت غرفة المكتب تراقب فانيسا تعمل وتحادثها في



خفة . وفجأة قالت :

«انت تعرفين عن علاقتنا انا وجيرارد، اليس كذلك؟»

ثم اضافت من دون ان تعتمد ازواج فانيسا :

«وتظنين اننا نخادعان اليس كذلك؟»

«في الحقيقة الموضوع كله لا يعني . ولكن بما انك تسألين  
سأخبرك : نعم انا اظن أنكما نخادعان . الا ترى انه من المناسب  
ان تخبري برانت عن ذلك قبل ان يعرف بنفسه من مصادر  
اخرى؟»

أيدت مويبا امتعاضاً وقالت :

«اذا علم فليعلم، هذا كل شيء . ربما يتضابق في البداية  
ولكن سيتغلب على ضيقه فيما بعد .»

«هل تغامرين في جرحه من اجل نزوة عابرة؟»

«اذا بوجه مويبا يأخذ شكلاً جديداً :

«الأمر ليس نزوة عابرة، ان غير المتوقع حصل وانا وقعت في  
حب رجل، لا يقبل برانت ولا يريد ان يرى فيه خيراً . هم  
يعتقدون ان جيرارد يشبه والده ويتصرف مثله . ولكنه ليس  
كذلك اذا عرفته جيداً . طبعاً اعرف ان عينيه تلعبان هنا  
وهناك، ولكنه صادق وصريح ل يظهر ذلك ولا يخفيه مثل كثيرين  
اعرفهم . في كل حال هي ليست مشكلة لاني اعرف كيف  
امسك زمام الامور .»

اذن مويبا لم تكن تستعمل جيرارد مثلها كان هو يعتقد . ولكن  
ان كانت تحبه جداً فلماذا هو لا يعرف ذلك؟ سألته :

«كيف تمسكين زمام الامور؟»

«الامر بسيط . هو ليس واثقاً من حبي . ولن يكون واثقاً أبداً  
حتى عندما نتزوج .»

حملت فيها فانيسا وقالت :

«هل تنوين الزواج منه؟»

«طبعاً أنوي الزواج . ربما سانتظر بعض الوقت، ولكنني  
ساصل به الى هذه النهاية، وسنواجه الجميع بالامر الواقع . ربما  
لن يكون زواجاً يحلم به والدي ولكن كل الاحتفالات الرسمية  
للزواج قد تجعل جيرارد يهرب كالارنب الخائف .»

ولاحظت استغراب فانيسا التي قالت :

«ولكنك بالطبع لن تستطعي ان تحتفظي بالسر سنة  
اضافية . ان كنت تنوين الزواج من جيرارد، اليس من العدل  
ان تخبري برانت الآن، وتحميه من جرح اكبر في المستقبل؟»

«انت تركزين كثيراً على قضية جرح برانت . انا لن اخبره  
لانني ان فعلت، سيجعل الامور هو واي صعبة جداً امامنا . ولا  
اريد ان يتعب جيرارد من التحدي ويقول في النهاية ان الامر لا  
يستحق كل هذا العناد . لافترض ان ابي وبرانت سيجرحان  
ولكن صدقيني ابي اعرفهما جيداً، وطريقي هي الوحيدة التي  
توصلني الى الزواج من جيرارد . من بعدها يقبلان بالامر الواقع  
كما هو، فيفعلان الكثير من اجل سعادتني . ربما اكون انانية، فأنا  
لست من الاشخاص الذين يضحون بأنفسهم . اريد جيرارد  
وسأخذه . اعرف اني سأجعله سعيداً، وهذا كل ما يهمني .»

«ولكنك قبل مدة قلت لي انك تحبين برانت . لا بد انك  
تعملين له بعض العاطفة . انت مدبنة له بالحقيقة يا مويبا ولا  
يمكنك ان تجعله يستمر في تصديق موضوع الزواج منك .»

«وقبل ان تتمكن مويبا من الاجابة، فتح الباب ودخل الرجل  
الذي كانتا تتحدثان عنه .»

حملت فانيسا بالرجل الطويل امامها، وجهها ممتقع



وتساءل في نفسها اذا كان سمع شيئاً. ولم تجرؤ النظر الى مويا  
وانتابها شعور ان مويا اكتشفت ما تحمله فانيسا من عاطفة  
ليبرانت، ولم تهتم، كل ما تمنته ان يكون برانت جاهلاً للمناقشة  
التي دارت بينهما.  
نظر برانت اليهما ولاحظ ارتباكهما. اغلق الباب خلفه  
وسأل:

«هل قطعت مجرى حديث او مشادة بينكما؟»

ولم تجبه اي منهما فقال:

«احتفظا باسراركما، لا بأس في ذلك.»

وجدت فانيسا نفسها تقول بتردد:

«كنا... كنا لا نتوقع عودتك باكراً.»

فاجاب:

«كلا. ولا انا كنت اتوقع توقعكم لي.»

وجلس الى مكتبه يراجع الاوراق امامه ثم تناول الرسالة  
التي وضعتها فانيسا على مكتبه.

مويا تحركت متزعجة وقالت لفانيسا:

«احب ان اتكلم معك على انفراد.»

ونظرت صوب برانت قائلة:

«هل تسمح ان غادرنا الغرفة لدقائق قليلة؟»

كان يقرأ الرسالة بامعان غاضباً ولما رفع راسه قال بعينين  
يتظاير منها الشرور:

«عليك ان تنتظري يا مويا. انا اريد التحدث مع فانيسا أولاً  
على انفراد.»

وجده جاداً. انسحبت بهدوء قائلة:

«حسناً، سانتظري في غرفة الجلوس.»

مد برانت يده رامياً الرسالة الى مكتب فانيسا. وقال:  
«هل هذه فكرتك؟»

نظرت اليه من دون ان تفهم وتناولت الرسالة وراحت تقرأ  
حتى النهاية بامضاء: المعلمة جانيت بيرسون.

وشعرت باتييار نفسي. الرسالة كانت مختصرة ولكن دقيقة  
جداً وواضحة. اعربت عن قرف وخيبة امل لضياح الوقت  
الكامل في تنظيم الزيارة لتلميذاتها الى الينغز. تقول انها سألت  
التلميذات ان يكتبن ما شاهدن، وها هي نسخة مرفقة عما كتبه  
احدهن. ولما قرأت فانيسا ما كتبه الفتاة، وجدت نكات  
جيرارد عن التحف في كل سطر. سأل برانت:  
«ما هذا؟»

نظرت اليه بشجاعة وقالت:

«الوقائع صحيحة. جيرارد كان يتصرف بفكاهة. ولا اظن  
ان ثمة ضرراً لأحد.»

انتفخت عضلات وجهه وعنفه وقال:

«وماذا كان يعمل جيرارد في ذلك اليوم؟ هل نظمت  
البرنامج معه مسبقاً؟»

«نعم.»

قالت كاذبة بغضب ومن دون اكرتار.

«طبعاً نظمتنا ذلك مسبقاً.»

وسعت عيناه للمفاجأة وقال:

«انا لست في موضع للسخرية. ربما تمهدين الامر كله مسلياً.  
ولكن اؤكد لك اني لا اراه كذلك اطلاقاً. انا فخور بثرات

عائلة مالوري. هل تظنين اني ساعامل هذه السخافة بخفة؟»

«كلا. لا اظن ذلك. لا اظن انك تواجه اي شيء يعمل»



جيرارد بخفة. انت تبحث عن جرم تلبسه اياه انتقاماً لوالده الذي اساء معاملته عمثك؟»

كانت تتكلم بغضب ومن دون ان تكثرث لردود فعله. عاطفتها المتأججة المكبوتة طيلة الاسبوع انفجرت في انفجاء آخر. تابعت تقول:

«لم تعط جيرارد فرصة ولا مرة ليثبت حسناته. انت قررت منذ البداية انه لا ينفع، وانت لا يمكن ان تكون على خطأ ابداً اليس كذلك؟ كم انت قاض واهم، انك عادل!»

فجأة شعرت ببرانت قربها يأخذها بين ذراعيه ويعانقها في شدة ويتركها كالبلهاء ويغادر الغرفة.

مر بعض الوقت وفانيسا كالشدهوهة. اخيراً تحركت من الغرفة وسارت ببطء في القاعة الكبرى من دون ان تصادف احداً. وفي غرفة نومها شعرت انها في امان، تحاول ان تستيقظ من مفاجأة برانت لها. تحركت نحو الحزانة وسحبت حقيبة الثياب وراحت تملأها بالثياب وبأغراضها الخاصة. قررت انها لن تستطيع ان تواجه برانت بعد اليوم. هي سببت له فقدان اعصابه وهو لن يسامحها مطلقاً.

فكرت ان قطاراً في الخامسة يغادر المدينة نحو لندن. المهم ان تغادر القرية الى المدينة في اقصى سرعة. لا بد ان نيقبل مستقبلها الى ان تجد مكاناً خاصاً بها.

اغلقت الحقيبة، تناولت معطفها من الحزانة وارثته. ساعتها تشير الى الرابعة وخمس دقائق. نظرت الى غرفتها للمرة الاخيرة وسارت عبر الممرات.

باب غرفة المكتبة مقفل والقاعة صامتة. لم تر احداً في طريقها الى الطيقة الارضية. دفعت الباب الكبير ليغلق خلفها

وسارت من دون ان تلتفت الى الوراء. مرة واحدة التفتت وهي في آخر منحني. رأت القصر شاهقاً والسماء الملبدة فوقه، مثلما رآته اول مرة، الا انها لن تراه بعد اليوم.

كانت بدأت تمطر قليلاً عندما وصل الاوتوبيس الى الموقف حيث كانت تنتظر. ركبته وجلست في مقعد امامي.

«هذه تذكرتك يا آنسة».

قال المعاون ببشاشة، ثم اضاف:

«الطقس اصبح سيئاً اليس كذلك؟ اظن ان السماء ستمطر من الآن حتى عيد الميلاد».

حدقت فانيسا فيه بكآبة وتساءلت أين تراها تكون في الميلاد؟ التفتت الى الجهة الاخرى لترى نظرات امرأة تحديق فيها بفضول.

«انت السكرتيرة الجديدة في القصر الكبير».

قالت المرأة من دون تحفظ وسألت:

«هل انت في اجازة لبضعة ايام؟».

تردّدت فانيسا ثم هزت رأسها بالايجاب. تمنّت ان تكفي جارتها بهذا القدر من الكلام. ولكن املها تضاعف عندما قامت المرأة وجلست في المقعد الى جانبها.

«انا صديقة للسيدة رودجرز. هي قالت لي هذا الصباح انك ملائمة جداً للعمل في القصر. ان افراد عائلة مالوري اطوارهم غريبة اليس كذلك؟».

ردّت فانيسا بقسوة:

«كلا، ليسوا كذلك».

ووسط دهورها وجدت الدمع ينساب من عينيها. استدارت نحو النافذة واغمضت عينيها بشدة.



«حسناً».

قالت جارتها واتسحت من جانب فانيسا لتعود الى مقعدها السابق مع شعور بالانزعاج.

غرفة الانتظار في محطة المدينة كانت باردة ورطبة. جلست فانيسا على طرف احد المقاعد البعيد جداً عن الباب الرئيسي، وتمنت ان يكون قاطع التذاكر على خطأ عندما اخبرها ان ثمة ساعة تأخير. لم تكن ترغب في وقت يجعلها تفكر في تصرفها. كانت تريد فقط ان تصبح داخل القطار وتذهب خارج المنطقة. ربما تقبل عرض نيفيل بالعمل في الدكان وربما لا. لم تكن تعرف بعد ماذا ترغب ان تفعل.

ومن دون قصد وجدت نفسها تفكر في ما يمكن ان يكون برانت يفعل في هذه اللحظة. غيابها لا يمكن ان يكتشف حتى موعد العشاء. هل يكون نادماً على غيابها؟ ام يهز كتفيه ويلغونها من وجوده مع كامل الشهر الذي مر؟ لاحظت حركة على ممر الباب، واذا بالشخص الذي يستحوذ على تفكيرها يذلف الى قاعة المحطة.

«اعطني حقيبتك وتعالى معي».

قال برانت جازماً.

«كلا».

اعترضت في شدة.

تناول الحقيبة وذراعها وشدها لتثقف على قدميها.

«لا تخاربيني يا فانيسا، اذا اقتضى الامر ساملك خارجاً الى السيارة».

كانت تعلم انه قادر على تنفيذ تهديده، ففضلت ان تمشي مرفوعة الرأس امام ناس المحطة، عل ان تبلغه في وقت لاحق

اصرارها على الرحيل.

وضع حقيبتها في المقعد الخلفي في سيارته السوداء الكبيرة واجلسها في المقعد الامامي وجلس هو خلف المقود وانطلق في صمت في اتجاه القرية. في منتصف الطريق استدار في طريق فرعية وتوقف الى جانب منحني مهجور وقال:

«هنا لن يزعجنا احد».

اطفاً المحرك. ادار رأسه نحوها ثم شد وجهها نحوه لتنظر اليه وقال:

«فانيسا، قبل اي شيء آخر يجب ان اقول لك اني احبك واريدك ان تتزوجيني».

فوجئت فانيسا ووجدت نفسها جامدة لا تقوى على الرد. حدقت فيه ثم غمتمت.

«ولا اظن انك تقصد ما تقول».

واضافت:

«ولكن ماذا عن مويبا؟».

فقال:

«اذن انت متوهمة جداً... يا حبيبي. اختلطت عليك الامور. انا اعرف مويبا منذ كانت في الرابعة من عمرها. اشعر نحوها بما يشعر به اي اخ نحو شقيقته الصغرى المهضومة، وليس اكثر من ذلك».

واذ بفانيسا تنفس في عمق وتشعر انها اصيحت في الاطار الصحيح وقالت.

«لا بد اني قفزت الى كل الاستنتاجات الخاطئة».

اجابها:

«لا شيء هم الان غير معرفتي بان مويبا كانت على صواب



عندما اكتشفت رحيلك، فانتيسا، هل صحيح انك هربت  
لانك تحبيني؟

«نعم».

قالت بصوت خافت وصادق.

مذ يده نحو وجهها، ناظراً البريق في عينيها، معانقاً اياها في  
الشكل الذي طالما حلمت فيه. ثم قال.

«شعرت اني احبك منذ ذلك اللقاء الاول في ذلك الفندق  
عندما قلت لي بغضب اني عدو للمرأة. اردت طيلة الوقت ان  
اثبت لك يوماً بعد يوم انك مخطئة ولكنك كنت دائماً تضعين  
حدوداً بيننا. في تلك الليلة التي حملتك فيها الى الطبقة الثانية  
كنت مشدودة مثل شريط قوس واعتقدت في تلك اللحظة انك  
لا تطيقين لمسي اياك».

اجابته بنعومة:

«ان توقفي الى ان تحملني في الشكل الذي فعلت جعلني  
اخاف من ان تكتشف حقيقة شعوري نحوك».  
«وهل ذلك كان السبب الذي حدا بك ان تجعليني اصدق  
انك مغرمة بجيرارد؟».

«آه، بشأن جيرارد، اريد ان اقول لك...».

«اذا كنت ستهميني في اني غير عادل، ربما اوافق معك في  
الوضع الحالي ولكن ليس عندي اي نية في مناقشة ابن عمتي في  
هذه اللحظة. واذا كنت مشغولة الفكر على موي انسي الامر.  
ان موي تعرف تماماً ماذا تريد وماذا تفعل على الرغم من اني لا  
اهنتها على اختيارها».

«هل كنت تعلم كل ذلك الوقت؟».

«قبل قليل من سفرها الى النمسا. لم اقل شيئاً لجليها مخافة

ان تكون اية محاولة في التفريق بينهما تزيد من جاذبيته لها.  
كانت تبسم في رقة. احاط وجهها في يديه وسألها:

«فانتيسا، انت متأكدة من حبك لي؟ اذ عندما ترتبطين بي لا  
يجال للعودة عن القرار. لن ادعك ترحلين طالما انا حي».  
ردت في رقة واصرار:

«انا لست متأكدة من شيء في حياتي مثل تأكدي من حيي  
لك يا برانت».

عانقها في حنان. ثم قال: «ولتعد الى البيت الآن».

أدار المحرك وانطلق بالسيارة من جديد. امام القصر وقفت  
فانتيسا للمحطات تتأمله وتقول:

«كم احب هذا البيت».

شعرت يذراعه تحيط كتفيها واذ به يقول:

«فانتيسا، اني انا الذي تريدون اليك كذلك؟ ليس فقط  
والينغز؟».

لبرهة شعرت بقوة المحبوبة وتساءلت «القصر أم الرجل؟».

ألقت برأسها على كتفه وقالت:

«ولكن الرجل يجيا ويحيني فهل تجوز المقارنة؟».

حلها بين ذراعيه وقفز بها على السلام. اعترضت ضاحكة  
وهي تقول:

«برانت لا يمكن ان تحملني هكذا، ماذا سيقول الخدم؟».

توقفت قليلاً، نظر اليها وقال:

«سيقولون ان آخر عنقود عائلة مالوري اصطاد اجمل  
عروس! اهلاً بك في بيتك، فانتيسا».